الرِّسَالةُ العِلمِيّة للإمام أبي حَنِيفَةَ حَولَ بَيَانِ العَقِيدةِ التي كانَ عَلَيهَا

قال تقيُّ الدين ابن عبد القادر التميمي الداري الغزي (ت: 1010 هـ) في كتابه "الطبقات السنية في تراجم الحنفية" (49):

وللإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه وصيةٌ مَشهُورة، أوصَى بهِ أصحابَه، تشتملُ على كثيرٍ مِن أصول الدين، نقَلَها كثيرٌ مِنَ المؤرِّخينَ، يتعيَّنُ إيرادُها هُنا، لِمَا اشتَمَلَتْ عليهِ مِن صحيحِ الإعتقادِ، ودَفعِ الانتِقادِ، وردِّ كَلَام الحُسَّادِ، وهيَ هذه:

شَرحٌ مُبارَك لأبي سَعيد محمَّد الخَادِميّ[1] على رسالةِ (نُقِرُّ) للإِمَام الأَعظَم

الحمدُ لله ربِّ العَالمينَ، والسَّعَادةُ الأَبَدِيّةُ للمُتَّقِين، والصَّلَاة والسَّلَام على أفضلِ نبيِّه وآله أجمعين.

(**لـمَّا مَرِض أبو حَنِيفَةَ**) لعلَّ وجهَ تأخِيرِ هذهِ الوَصَايا إلى وقتِ الـمَرض الذي هو مرضُ الموت على ما هُوَ الـمُتَبَادر ـــــ مع أنَّ هَذهِ أمورٌ مُهِمَّة يَنبغي أن يوصَى بها في جميع الأوقات، سيَّما لأحَبِّ الأَصحابِ والإِخوَان والأَقرِباءِ ـــ: هو زيادةُ استِشفَاقٍ في أَوَان الـمُوَادَعَة والـمُفَارقة، وزيادة الثواب لنفسه.

ثم لَفْظُ (أبو حَنيفة): كنيةٌ للإمام الأعظَم النُّعمَان بنِ ثابتٍ رضـــي الله تعالى عنه، وهو إمامٌ جليلُ القَدْر، كثيرُ المَنْقَبَة، استَوفَيْنَاها في مقدِّمة حاشِيَتنا على "الدرر"،[2] لا يَحتملها هذا المَقام، و(حنيفة) بنتٌ له رحمه الله تعالى،[3] لعلَّها أولُ ولدِهِ، لِـــمَا في «التَّتَارخانية»: كان عادةُ العَرَب أن يكنِّيَ بأولِ الولد، أبَاً كان أو أُمًّا كأبي سَلَمة وأمِّ سَلَمة، وأبو الدَّردَاء وأمِّ الدَّرْدَاء.

---

[1] الشارح هو: الفقيه الأصولي المجتهد الإمام محمد بن محمد بن مصطفى أبو سعيد الخادمي المتوفى سنة (1176هـ) رحمه الله تعالى.

[2] هو: حاشية على "درر الحكام شرح غرر الأحكام" لملا خسرو رحمه الله تعالى.

[3] كنيته أبو حنيفة، مؤنث حنيف، وهو الناسك أو المسلم، لأن الحَنَفَ: الميل، والمسلم مائلٌ إلى الدين الحق. وقيل: سبب تكنيته بذلك ملازمته للدّوَاة المسماة (حنيفة) بلغة العراق. وقيل: كانت له بنتٌ تسمى بذلك، وردَّ بأنه لا يُعلم له ولدٌ ذكر، ولا أنثى غيرُ حمَّاد. وحماد: تفقه على أبيه وأفتى في زمانه وتفقَّه عليه ابنه إسماعيل، وهو في طبقة أبي يوســـف ومحمد. وكان الغالب عليه الورع، وكان من الخير والصلاح على قدم عظيم.

ويُحكى في وجهِ هذه الكُنية حكايةٌ لَطِيفة تَرَكْنَاها لعدَم وقوفنا على صحّتها،[4] وللمَلَال،[5] فهل يُسمَّى لأحد بمثلِ هذه الكُنية كأبي بكرٍ رضـــي الله تعالى عنه أم لا؟ قيل: لا للمُكذِّب،[6] وقيل: نعَم، للتَّبرُّك والتَّفَاؤُل، وهو الأكثرُ.[7]

(رَحِمَه اللهُ تعَالى) وفي بعضِ النُّسَخ: (رضي الله تعالى عنه) لعلَّه لكونِ نشأتهِ وطُلوعه في زمَن التابعين، بل لمُلَاقاتهِ ببعض الصحابة[8] يَنبَغي أن يُدعَى بالتَّرْضِيَة، ولكونهِ مِن المَشَايخ يدعَى بالرحمة.

(قال: اعلَمُوا يا أَصـــحَابي وإخْوَاني) الظاهرُ أنَّ المرادَ مِن الأصـــحاب والإخوان ما هو الأعمُّ؛ الحاضرين عندَه في ذلك الوقتِ، أو الغائبينَ عن هذا المجلس، والموجودين في ذلك العصر، أو سيُوجَد إلى يوم القيامة. فالـــخِطَاب في (اعلَمُوا) خطابٌ لكلِّ مَن يصلُح لهذا الـــخِطاب، ولو في الجملة. وتخصيص الـخِطَاب بـمَن حَضَر عندَه، وإن كان متبادراً بحسَب الظاهر، لكنه بعيدٌ بحسَب المعنى، إذ غَيْرَتُه وشَفَقَتُه رحمه الله تعالى ليس بمُختَصٍّ بقومٍ دون قوم، إلا أنْ يُحمَل على المُقَايسَة ودلالةِ النص.

---

[4] قيل: سبب تكنيته بـــ أبي حنيفة: ملازمته للدَّوَاة المسماة (حنيفة) بلغة العراق، ولاجتهاده في طلب العلم، فـــأبو حنيفة كنية وليست اسماً.

[5] ملَّ الشيءَ وعنه: مَلَلاً ومَلالاً ومَلالةً: سئِمه وضجِرَ منه، فهو مَلُول. "المعجم الوسيط": ملل.

[6] روي عن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: قال أبو حنيفة: لا يكتني بكنيتي بعدي إلا مجنون.
قال: فرأينا عدّة اكتنوا بها، فكان في عقولهم ضعفٌ. " البدور المضية في تراجم الحنفية" (117/2).

[7] "المحيط البرهاني" برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز مَازَةَ البخاري الحنفي (382/5).
فائدة ولطيفة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: " تَسَـمَّوْا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي". أخرجه البخاري (3539) و (6188)، ومسـلم (2134) (8)، وأبو داود (4965)، ابن ماجه (3735)، وأحمد (7377). وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي». أخرجه البخاري (2120). مقتضاه أنَّ علة النهي الالتباس ... والالتباس لا يتحقَّقُ في الاسم، لأنهم نُـهُوا عن ندائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاسم، قال تعالى: {لا تجعلوا دعاءَ الرسولِ بينَكم كدعاءِ بعضِكم بعضاً لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً } [النور:64]، وللتعليم الفعلي مِن الله تعالى لعباده، حيث لم يخاطبه في كلامه إلا بمثل: {يا أيُّها النبيُّ}، وأمَّا المناداة بالكنية فجائزة، فالاشـــتراك فيها يوجب الالتباس، نعَم، هذا الالتباس إنما هو في حياتهِ، فلذلك خصّ بعضـهم النهيَ بحال الحياة، وأخَذَ بعضـهم بعمومه. وانظر تفصـيل المسـألة في "شرح مسلم" للنووي (112/14-113)، و"فتح الباري" (572/10-574).

[8] قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (390/6): ورأى: أنس بن مالك لما قدِم عليهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم. وروى عن: عطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له، وأفضلهم.
وقال البركوي في " ذُخْرُ الْمُتَأَهِّلِينَ.." (441): وسمع كثيراً من علماء التابعين كعطاء ونافع، أدرك أربعة من الصحابة باتفاق.

ويمكن أن يراد مِن الأصـــحاب: مَن هو في صُـــحْبَته وخِدْمَته وزيارته ومُلَاقاته، ومِن الإخوان: هو الإخوانُ في الإسلام، والـمُتَحَابُّ في الله حاضِراً أو غائباً، وفي الإضافتين إشارةٌ إلى أنَّ الوصيَّة لـمَن له إضافةٌ واختصاصٌ بالمُوصَى مِن حيثُ المحبةُ والأُخُوَّة، فهي غايةٌ لطيفة حَرِيَّة للإصغاء والقَبول.

وفي بعضِ النُّسَخ زِيدَ على أوَّلِه: قِيل: لـمَّا مَرِض أبو حنيفة رحمه الله تعالى؛ اجتَمَع أصحابُه عندَه... إلخ. فتأمَّل.

(أَنَّ مذهبَ أَهْلِ السُّنَّةِ) أي: أنَّ أهلَ سنَّةِ النبيّ عليه الصلاة والسلام ومُتَمَسِّكِيهَا **(والجَمَاعَةِ)** أي: أهلُ جماعةِ الصَّحَابة، وأهلُ السنة والجماعة هم الفِرقةُ النَّاجِيَة الـــمُشَارةُ بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ستَفْتَرِقُ أمَّتي ثَلَاثاً وسَبعِين فِرقةً كلُّها في النَّارِ إلَّا واحدةً» قيلَ: ومَن هُم؟ قال: «الذينَ هُم على ما أنَا عليهِ وأصحَابي».[9]

---

[9] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ» النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي. رواه الترمذي (2641) وقال: هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وفي الباب عن أنس بن مالك عند أحمد (12208)، وابن ماجه (3993). وهو حديثٌ صحيح. وزاد في روايته: "كلُّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة". وعن معاوية بن أبي سفيان عند أبي داود (4597)، وإسناده حسن. وزاد فيه: "ثِنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة". وعن عوف بن مالك عند ابن ماجه (3992). ورجاله ثقات. وقال ابن كثير في "النهاية" في الفتن والملاحم: إسناده لا بأس به. وزاد أيضاً: "فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار" قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: "الجماعة". وأخرجه أحمد (16937)، والدارمي (2518)، ومحمد بن نصر المروزي في "السنة" (51)، والطبراني في "الكبير" / 19 (884)، والآجري في "الشريعة" (ص 18)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (6/ 542). **قلت**: وعند أحمد (16937): عَنْ أَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ لُحَيٍّ، قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ -، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ، وَاللهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ". وإسناده حسن، وحديثُ افتراق الأمة منه صحيح بشواهده.

تَجَارى بهم، أي: تسري في عروقهم ومفاصلهم. الكَلَب، بفتحتين: داء يصيب الإنسان من عَضِّ الكلب المجنون.

هذا، وقد اختلف أهل العلم في قوله صلى الله عليه وسلم (ابن ماجه 3992): "فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة" بين مصحِّح ومُضعِّف، فصحَّحه الحاكم في "المستدرك" (1/128)، وكذلك ابن تيمية في "الفتاوى" (3/ 345)، فقال: حديث صحيح مشهور، وقال ابن كثير في "تفسيره" عند تفسير قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هود: 118]: حديثٌ مروي في المسانيد والسنن من طرق يشُدُّ بعضُها بعضاً.

قال المحقِّق الدَّوَّاني[10]: هذا الحديثُ رواهُ التِّرمِذيُّ، وإن كانَ لبعض أهل الحديث عليه كلامٌ، لكن قد يَصِحّ من حيث المعنى فاعرفْهُ، ثم المرادُ مِن أهل السنة: عَلَم الـهُدَى أبو مَنصُورٍ الـمَاتُريدي، والشيخ أبو الحسن الأشعري،[11] الأولُ شيخٌ للحنَفِيَّة، والثاني للشَّافعيَّة.

فإن قيل: أهلُ المذاهب كلُّهم يَدَّعُون بأنهم سُنِّيُّون؟

قلتُ: أُجيبَ عنه أنهم إنما يعمَلون بالتمسك في اعتقادهم بالأحاديثِ الصَّحِيحَةِ، غير متجاوز عن ظواهرها، ولا استِرسَالَ على العقول، وبما ثبَتَ مِن عقائدِ الصَّحَابة رضوان الله تعالى عليهم، وذلك لا يَنْطَبِق إلا على الماتريدية والأشاعرة، وأمَّا هما، وإنْ وُجِدَ خِلافٌ بينَهُما إلى بِضْعٍ وثَلَاثين، لكن لعدَم كونِها في الأصول التي يوجِب تكفيرُ أحدِهما الآخرَ وتضليلُه، بل في الفُروع فقط؛ لم يُعَدّ مذهباً مخالِفاً

وصححه كذلك العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء" (4/ 1879)، فقال: أسانيدها جياد، وقال أبو إسحاق الشاطبي في "الاعتصام" (2/ 220)، وقد عيَّنَ هذه الفرق وعدّدها: وهذا التعديد بحسَب ما أعطته المُنَّة في تكلف المطابقة للحديث الصحيح.

وصححه كذلك محمد بن إسماعيل الصنعاني في رسالته "افتراق الأمة" (ص 94 – 95)، وصالح بن مهدي المقبلي في "العلم الشامخ" (ص 269).

وضعّف الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في "العواصم والقواصم" (1/ 186) زيادة "كلها في النار إلا واحدة"، فقال: وإياك والاغترارَ بـ"كلها هالكة، إلا واحدة" فإنها زيادة فاسدة، غيرُ صحيحة القاعدة، لا يؤمَن أن تكون من دسيس المَلاحدة. ونقل بعد ذلك (3/ 172) عن ابن حزم أنه حَكَم على هذه الزيادة بالوضع. قلنا: لم نجد ذلك في كتبه، لكن جاء في "الفصل في الملل والاهواء والنحل" (3/ 138) قوله: ذكروا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن القدرية والمرْجئية مجوسُ هذه الأمة"، وحديثاً آخر: "تفترق هذه الأمة على بِضع وسبعين فرقة، كلُّها في النار حاشَا واحدة، فهي في الجنة" فقال: هذَان حديثان لا يَصِحَّان أصلاً من طريق الإسناد.

وضعَّف هذه الزيادة أيضاً تبعاً لهما الشوكانيُّ في "فتح القدير" (2/ 275)، فقال: زيادة لا تصح، لا مرفوعة ولا موقوفة. أفاده الشيخ شعيب رحمه الله في تعليقه على سنن أبي داود.

[10] هو: محمد بن أسعد الصديقي الدواني، جلال الدين، قاض، باحث، يُعدُّ من الفلاسفة. ولد في دَوَّان (من بلاد كازرون) وسكن شيراز، وولي قضاء فارس وتوفي بها. له "أنموذج العلوم" و"شرح العقائد العضدية". توفي سنة (918هـ).

[11] الأشعري هو: علي بن إسماعيل، إمام المتكلمين، كان عجباً في الذكاء، وقوة الفهم.

ولما برع في معرفة الاعتزال، كَرِهَه وتبرَّأ منه، وصعِدَ للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يردُّ على المعتزلة، ويهتك عُوَارهم... وبلغنا أنَّ أبا الحسن تاب وصعد منبر البصرة، وقال: إني كنت أقول: بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالأبصار، وأن الشرَّ فعلي ليس بقَدَر، وإني تائب معتقدٌ الردَّ على المعتزلة. توفي سنة (324هـ). "سير أعلام النبلاء" (85/15).

والماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام، إمام الهدى،

له كتاب "التوحيد"، وكتاب "المقالات"، وكتاب "رد أوائل الأدلة" للكعبي، وكتاب "بيان وهم المعتزلة"، وكتاب "تأويلات القرآن"، وكتب أخرى. توفي سنة (333هـ).

أحدُهما لآخَرِهما، بل عُدَّ مَذهباً واحداً، يسمَّى بأهل السنة.[12] **(عَلَى اِثْنَتَي عَشْرَةَ خَصْلَةً)** هذا الحصر جَعْليٌّ لا عقليٌّ، والظاهرُ: ولا استقرائيٌّ أيضاً، وحصرُه على هذا القَدْر، إمَّا لكونها أَصلاً وأمهاتٍ للبَوَاقي، أو لكونهما مُهِمَّاتٍ بالنسبة إلى البواقي، وإمَّا لغيرهما. **(فمَن كانَ يَستَقِيمُ)** بأن يعرِفها بحَقَائقها وأدِلَّتها بلا تقليدٍ ولا اعوِجَاج. **(عَلَى هَذهِ الخِصَال)** الاِثنَي عَشرةَ **(لا يَكُونُ صَاحِبَ هَوًى ولا مُبْتَدِعاً)** في الاعتقاد، والبدعة.

والاعتقادُ، إمَّا كفرٌ أو أكبرُ، كبيرةً كالفِرَق الضالَّةِ المُشَارة في الحديثِ البالغ إلى اثنتين وسَبعين الصائرةِ إلى النار.

فإنْ قيلَ: إنَّ أكثر أهلِ البِدعة والهَوَى لا يَتَشَعَّب مِن هَذه الاِثْنَتي عَشْرَةَ، كمَا يَشهَد مَن يَعرفُ تَفصِيلَها. وظاهرُ هذا الكلام أنَّ مَن اعتقَد بها لا يكون مُبتَدِعاً، وإن اعتقَدَ خِلاف سائر اعتقادات أهل السنة؟

قلتُ: لعلَّ البواقي راجعةٌ إليها، أو لازمةٌ لها، غايتُها أنَّ اللُّزوم في بعضها خَفِيَّة لا يعرفه إلَّا الأَوْحَدِيّ، والحصرُ إضافيٌّ، وبالنِّسبَة إلى ما شاع في زَمَانه رضي الله تعالى عنه. فإذا كانت الاستقامةُ على هذه الخصالِ سبباً نافياً للهوَى والبِدْعة **(فعَلَيكم)** فوَجَب عليكم **(يا أصحابي الاستِمْسَاكَ بِهذهِ الخِصَالِ حتى تكونُوا)** لِأَن تكونُوا **(يومَ القيامةِ في شَفَاعةِ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ تعالى عليهِ وسلَّمَ)** فإن لم تكن المُدَاوَمَةُ عليها لا تُنالُ شفاعتُه.

---

[12] الخِلافُ بَينَ الماتُريديَّةِ والأشْعَريَّةِ خِلافٌ غيرُ جَوهريٍّ، بل في التَّفاريعِ دونَ الأصولِ، وغالبُه لفظيٌّ وسائغٌ، ولا يستدعي التَّبديعَ والتَّفسيقَ فيما بينهم. وقد ذكر تاجُ الدِّينِ السُّبكيُّ أنَّ تلك المسائِلَ ثلاثَ عَشرةَ مسألةً: ستٌّ الخلافُ فيها معنويٌّ سائغٌ، وسبعٌ الخلافُ فيها لفظيٌّ، ويرى عبدُ الرَّحيمِ شيخ زاده (له شرح عقائد الطحاوي، ونظم الفرائد وجمع الفوائد، ذَكَرَ فيه أربعين مسألة بين الأشاعرة والماتريدية توفي سنة 944): أنَّها أربعون مسألةً.

وأوصلها القاضي كَمالُ الدِّينِ البياضيُّ في "إشارات المرام من عبارات الإمام" إلى خمسين مسألةً.

ولا مُنافاةَ بَينَ هذه الأقوالِ؛ فبعضُهم أجمل، وبعضُهم فَصَّل.

وسيُذكَرُ هنا الثَّلاثَ عَشرةَ مسألةً، على ما ذكره السُّبكيُّ؛ لأنَّه قولٌ وَسَطٌ.

فأشهَرُ المسائِلِ الخلافيَّةِ بَينَ الفريقينِ ثلاثَ عَشْرةَ مسألةً، وهي على نوعينِ: 1- نوعٌ فيه خِلافٌ معنويٌّ. 2- نوعٌ فيه خِلافٌ لفظيٌّ.

فإن قيل: إن كانت البدعة موجباً للكفر؛ فسَلَّمنا أنه لا شفاعةَ له، وأمَّا إنْ لم يكن كُفراً كمَا في أكثر الفِرَق المبتَدِعة، فكيف لا يكون له شـــفاعةٌ وقد صـــحَّ عنه صـــلى الله تعالى عليه وســـلم أنه قال: «شفَاعتي لأهلِ الكبَائرِ مِن أمَّتي»؟[13]

قلنا: المراد استحقاقُ شفَاعتهِ أو الكثيرة، فإنَّهم وإن كان لهم شفاعةٌ لكن بلا استحقاقٍ منهم، فهم قليلونَ في الشفاعةِ، فكثيراً ما لا يُشفَعُون.

فإن قلتَ: ظاهرُ هذا الكلام أنه لا يكفُر مخالِف هذه الخِصَال، وظاهرٌ أن الكفر لازمٌ في البعض؟

---

[13] أخرجه أحمد (13222)، وأبو داود (4739)، وابن خزيمة في "التوحيد" (652/2)، والآجري في "الشـــريعة" (ص338)، والحاكم (69/1)، والبيهقي (190/10)، والطيالسي (2026)، والترمذي (2435)، وابن أبي عاصم في "السنة" (831) و (832)، والبزار (3469- كشف الأستار)، وأبو يعلى (3284) و (4105) و (4115)، وابن حبان (6468)، والطبراني في "الصغير" (448) و (1101)، وأبو نعيم في "الحلية" (261/7) من طرق عن أنس. وقال الترمذي: حديثٌ حسن صحيح. وصـحَّحه الحاكم على شرط الشيخين. "شفاعتي لأهل الكبائر ... الخ"، قال علي القاري في "مِرقاة المفاتيح" (277/5): أي: شفاعتي في العفو عن الكبائر مِن أمتي خاصة دون غيرهم من الأمم. وانظر "شرح مسلم" للنووي (35/3).

قلت: ويشهد له ما رواه أحمد (5452) مِن حَديث عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، أَوْ يَدْخُلُ نِصْـــفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّـــفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُنَقِّيْنَ، لَا وَلَكِنَّهَا لِلْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَّائِينَ". وإســـناده ضـعيف. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" (378/10)، وقال: رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال: أما إنها ليسَـت للمؤمنين المتقين، ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين.

وقوله: "للمتقين"، اسم مفعول من التنقية، أي: للمطهَّرين من الذنوب، قيل: وهو الأنسبُ في مقابلةِ قوله: للمتلوثين، فإن التلوث: التلطُّخُ بالأقذار، تَشـبيهاً للذُّنُوب بها، وقد رَوَى هذا المتنَ ابن ماجه (4311) من حديث أبي موسـى بإسـناد صـحيح، ولفظه: "خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ". والمشـهور فيه (للمتقين) اسـم فاعل، من التقوى، والمعنى: أترون تلك الشـفاعة التي خُيِّرت بينها وبين دخول نصف الأمة الجنة للمتقين؟ ليسَت هي للمتقين، وإنما هي للمُذنبين، ولا يَلزم منه أن المتقين ليس لهم حظٌّ من الشفاعة أصلاً، فله صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ شـفاعاتٌ كثيرة، لهم حظٌّ من بعضـها. ويمكن أن يكون المعنى: أترون الشـفاعة مخصـوصـة للمتقين؟ وليس كذلك، وإنما هي شـــاملةٌ للمذنبين، والله تعالى أعلم. هذا، وقد صـــحَّت القِطعةُ الأولى منه التي فيها التخييرُ بين الشـــفاعة وبين دخول نصف الأمة الجنة من حديث أبي موسى نفسِه في سياقٍ آخَرَ عند أحمد (19618)، وإسناده حسن. ومن حديث أبي موسـى ومعاذ عند أحمد (22025)، وإسـناده حسـن أيضًـا. ولها شـاهد من حديث عوف بن مالك عند أحمد (24002)، والترمذي (2609)، وابن حبان (211)، وفيه ذكر أبي موسى ومعاذ في القصة عند أحمد. وإسناده صحيح. وللقطعة الثانية منه انظر حديث جابر عند ابن ماجه (4310): "إِنَّ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي".

قلتُ: أولاً إنَّ اعتبار مفهوم المخالِف ـ وإنْ كانَ في كَلَام المصنّف ـ ليس بمُطَّرِدٍ، ولو سُلِّم ذلك فلا نسلِّم الكفرَ مطلقاً، كما أُشير آنفاً، ولا يبعُد أن يقال: الحُكم في المجموع يجوز أن يكون باعتبار بعض أفراده، والله تعالى أعلم.

(أوَّلُها: نُقِرُّ بأنَّ الإيمانَ) وهو في اللغة: التَّصدِيق مُطلقاً، ولو في العادات، واختُلف في معناه الشرعيّ، فقِيل: هو التصديقُ وحدَه لِمَا وُجِد في كثيرٍ مِن النُّصوص مُضافاً إلى القلب، نحو: {أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ} [المجادلة: 22]، {وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ} [الحجرات: 14]، و{وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ} [النحل: 106] وهذا مذهبُ الأشعري ومُتَابِعيهِ، وقيل: هذا مذهَب المحقِّقينَ.

وقيل: هو مجموعُ التَّصدِيق، والإقرَارُ للمُتمَكِّن منه لعُذْر كالصِّغَر والجُنُونِ والآفَةِ في اللِّسَان والإكرَاه، وهذَا مذهَب أبي حنيفةَ، قالوا: وهو الحقُّ، وقيل: هو المَجمُوع: اعتقادُ الحق والإقرار به، والعمل بموجبه، وهو مذهب المحدِّثين والمعتزلةِ والخَوارجِ. فعلى الأول: الإيمانُ بسيطٌ، وعلى الثاني: مركَّبٌ ثُنَائيٌّ، وعلى الثالث: ثُلَاثيٌّ.

(هُوَ إِقْرَارٌ باللِّسَانِ) أي: عندَ الإمكان كما أُشِيرَ آنفاً، أي: إقرارُ ما عُلم ضرورةً أنَّهُ مِن دين نبيِّنا صلى الله تعالى عليه وسلم كالتَّوحِيد والنُّبُوَّة والبَعثِ ونحوها.

(وتَصْدِيقٌ بالجَنَانِ) بفتح الجيم، بمعنى القلبِ، لكن هَذَا التصديقُ ليسَ تصدِيقاً مِيزَانيًّا، وإلَّا يدخُل الكفرُ العِنَادي، بل التصديقُ الإيمَاني لا بدَّ فيه مِن قيدٍ آخَرَ كالتَّسلِيم الباطنيّ والانقياد القلبي، ولذلك فسَّرَه بعض المحقّقين بالمعرفةِ والتصديقِ على وجهِ الإذعان والقَبُول. وادّعَى بعضُهم ذلك في التصدِيق المِيزَانيّ، ولعل تقريرَ المصنّف وجهٌ آخَرُ يَظهَر بالتأمل.

ثم إنَّ قوله: (باللسان) و(بالجنان) مِن قَبيل التصريح بما عُلِم التِزاماً، وإلَّا فكالتَّكْرَار، ثم أرادَ أن يَستدلّ على كون الإيمان مجموعُ الأَمرين، فقال: **(والإِقْرَارُ وَحْدَهُ)** أي: بلا تصديقٍ **(لَا يَكونُ إِيمَاناً)** مقبُولاً عندَ الله تعالى، وإن كان إيماناً في إجراءِ ظاهر أَحكام الشَّرع؛ فإنَّ المُنَافق يَجري عليه أكثرُ الشَّرْعيّات كحُرمةِ قَتْلِه، وعَدَم استِرقَاقه، وعدَم غَنِيمةِ أموالِه، وعدَم الجِزيَةِ عليه كما في سائر الكفَرَة. **(لأنَّهُ)** أي: الإقرارُ المُجرَّد **(لَوْ كَانَ إِيمَاناً)** كمَا زعمَت الكَرَّامِيَّةُ[14] من أنه مجرَّد كلمة الشهادة **(لكانَ**

---

[14] الكَرَّامية: نسبة إلى مؤسسها محمد بن كرَّام المتوفى سنة (255 هـ)، وقد نسب إليه القول بالتجسيم، وتسويغ قيام الحوادث بذاته تعالى، وأبدية العالم، وقد حاول ابن الهيصم وهو من أتباعه أن يدافع عنه، ويقرّب أفكاره تلك من مذاهب أهل السنة. قال الذهبي: كان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب، وعمل جوارح.

الـــــمُنَافِقون) هم الذين يُظهِرون الإيمانَ، ويُبطِنون الكفرَ أكثرُهم في المدينة **(كلُّهُم مُؤمِنينَ)** لكونِ الإيمان عبارةً عن الإقرَار فقَط على مَا فَرَضْنَا، وهم ليسُوا بـمُؤمِنين لعدَم التَّصدِيق لقوله تعالى: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ} إلى قوله: { وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 8] بل هم أخبَثُ الكَفَرة،[15] وأهلُ الدَّرْكِ الأسفَلِ مِنَ النار[16]، وإجراءُ الأحكام الدُّنيَاويّةِ الإسلامية علَيهم للاستِدْرَاج، ولشَرَف كلمتيْ الشهادةِ ولو صورةً.

(وكذَلكَ) أي: مثلُ الإقرار الـمُجرَّد في عدَم كونه إيماناً **(المعرفةُ)** أي: التصديقُ **(وَحْدَها)** أي: بدون الإقرار **(لا تَكُونُ إيـــماناً)** مُفيداً ومقبولاً، لكن يجب أن يقيَّد بإمكان الإقرار، وإلا فقد عرفْتَ كفايةَ التَّصـدِيق المجرَّد عند عدَم الإمكان كالـــحَرسِ والإكراه **(لأنَّها لَوْ كانَت إيماناً؛ لكانَ أهلُ الكتابِ)** يعني: الكَفَرةُ الذين يَعمَلون بالكتب الإلهية كالتَّورَاةِ والإنجيل وهم اليهود والنصـــارى **(كلُّهُم مُؤمِنينَ)** وهم ليسوا بمؤمنين.

اعلَم أنه ينبغي أن يُجعَل الإقرَار هنا أعمَّ من الركن والشـــرط، وإن كانَ ظاهِراً في الرُّكن، وقيلَ: إنه مذهَب المصنِّف، وإلَّا فالـمُلَازمةُ ظاهرُ المنع. فقولُه: {**قالَ اللهُ تعالى في حَقّ المنافقين: {واللهُ يَشهَدُ إنّـــهُم لَكَاذِبُونَ}** [التوبة: 107] و[الحشر: 11] دليلٌ على بُطلان تالي الشرطيةِ الأولى، كمَا أنَّ قولَه: **(وقالَ اللهُ تعَالَى في حقّ أهل الكتاب: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}** [الأنعام: 20]) دليلٌ علَى بُطلَانِ تَالي الشَّرطيَّة الثَّانيَة.

(فصلٌ)

هذا، وإنْ كان مِن تَتِمَّة ما قبله، لكنه لنوعِ مُغَايرته له مِن حيثُ إنَّ ما قَبلَه لِبيانِ ماهِيَّةِ الإيمان، وهذَا لبيان بعضِ حُكمهِ؛ فَصَّلَه بلَفظِ (الفَصل) الدَّال على نوع تفرُّقِهما.

(الإيمانُ لَا يَزِيدُ ولَا يَنقُصُ) يعني أصلُ الإيمان، وحقيقتُه لا يتصوَّر فيه الزيادةُ والنقصان، لأنَّ زيادَتَه إنما يُمكن بنُقْصَان الكفرِ، وكذَا نقصانُه بزيادة الإيمان. فهَذَا يَقتَضِي وجودَ الإيمانِ والكفرِ في شَخصٍ

وقال خلق من الأتباع له: بأن الباري جسم لا كالأجسام، وأن النبي تجوز منه الكبائر سوى الكذب. وكان ناشفاً، عابداً، قليلَ العلم.

[15] لأن بلاء المســـلمين منهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، قال تعالى: {هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4]. فالطائفتان (الكفار والمنافقون) اشـــتركوا في الكفر ومعاداة الله ورســـله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق والدجل.

[16] قال الله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء: 145].

واحدٍ، وهذا ظاهرُ الاِستِحَالةِ، وهذا معنى قولهِ: (**لأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّر زِيادتُهُ**) أي: الإيمان (**إلَّا بِنُقصَانِ الكُفْر**) والكُفْرُ لا يُوجَد فيمَن وُجِد فيهِ الإِيمانُ، وكذا قوله: (**ولَا يُتَصَوَّرُ نُقصَانُهُ**) أي: الإيمان (**إلَّا بزيادةِ الكُفْرِ**) يعني: لَو زادَ الإيمانُ لَزِم أن يَنقُصَ الكفرُ، ولو نَقَص الكفرُ لَزِم أن يَجتَمِع في شخصٍ واحدٍ إيمانٌ وكفرٌ. (**وكيفَ يَجُوزُ**) أي: والحالُ لا يجوزُ (**أنْ يَكونَ الشَّخْصُ الواحِدُ في حالةٍ واحِدَةٍ مؤمناً وكافراً**) إذِ الضِّدُّ أنْ لا يَجتمعان[17] وهو ظاهرٌ، ولو في زَمَانين. يجوز مَن كان مؤمناً بالنِّسبة إلَى زمانٍ أن يكون كافراً بالنِّسبَة إلى زمانٍ آخَرَ، والكَلَام فيما كان بالنسبة إلى زمان واحدٍ. (**والمُؤمِنُ**) المُتَّصِفُ بالإيمان (**مؤمِنٌ حَقًّا**) يعني: مؤمِنٌ يَقِيناً لا يَشُوبُه احتِمَالُ كفرٍ، ولا يَخلِطُه شائبةُ كفرٍ، فلَا يُتَصَوَّر اجتماعُ الكفر معَ الإيمانِ في شخصٍ واحد، فلا يُتَصَوَّر زيادةُ الإيمانِ ولا نُقْصَانُه. وقوله: (**والكافِرُ كافِرٌ حَقًّا**) مِثلُ ذلك في البَيَان، جِيءَ به لاستِظهَار المَطلُوبِ وليسَ هُوَ بنفسِه مطلوباً.

وقوله: (**وليسَ في الإيمَانِ شَكٌّ، كَمَا أنَّهُ ليسَ في الكُفْرِ شَكٌّ**) في مَقَام الدَّلِيل لِمَا سَبَق، يَعني: إذَا لم يكن في الإيمان شكٌّ لا يكون فيه شائبةُ كفرٍ، فيكون المؤمنُ مؤمناً حقًّا؛ **لقوله تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاۚ}** [الأنفال: 4] دليلٌ لقوله: (والكافر كافرٌ حقًّا)، كما أنَّ قوله: {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقّاۚ} [النساء: 151] دليلٌ لقوله: (والكافر كافر حقّاً)، ويَصلُح أن يكون كِلَاهما دليلاً لقولهِ: (وليس في الإيمان شكٌّ).

(**وعامَّةُ أمَّةِ محمَّدٍ**) أي: جماعتُه ومقتدٍ به صلى الله تعالى عليه وسلم (**مِن أهلِ التَّوحِيد**) خبرٌ لقَوله: (وعامة)، ويَحتمل أن يكون ظَرفاً مُستَقِرّاً صفة احترازية لقوله: وعامةُ أمةِ محمدٍ، فجُملة (**كلُّهُم مُؤمِنُونَ حَقًّا**) خبرٌ له، يعني: مَن يكونُ مؤمِناً حقّاً هو: أمةُ الإجَابةِ لَا أمة الدَّعوة،[18] فإنَّ أُمَّةَ الدَّعوَةِ كافرٌ حقًّا.

(**والعاصُون**) أي: الذين يَرتَكِبُون الكَبَائر كقَتْلِ النُّفُوسِ بغير حَقٍّ، وشُرب الخمر، والزِّنَا، والإصرَارِ علَى الصَّغَائرِ (**مِن أمَّةِ محمَّدٍ صلَّى الله تعالى عليهِ وسلَّمَ**) يَعني ممَّن يكونُ إيمانُه وتصديقُه قَطْعِيًّا

---

[17] أي: أنَّهُ لا يجتمعان، فـ(أنْ) مخففة من الثقيلة، والمعنى: أن الشأن والأمرَ...

[18] أمةُ الإجابة: مَنْ دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وآمنوا به، وأمة الدعوة: من دعاهم وبُعث إليهم فلم يجيبوه ولم يؤمنوا به. أي: الدائرة الكبرى (أمة الدعوة): وهم كلُّ مَن بُعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد بُعث إلى الناس عامّةً. والدائرة الأقل منها (أمة الإجابة): كلُّ مَن دخل في دين الإسلام، وإنْ لم يلتزم بأصول السنة، فوقع في جملة مِن البدع المفسِّقة التي لم تُخرجه من دائرة الإسلام.

(**كلُّهُم مُؤمِنُونَ حَقًّا**) إذْ فِسقُهم وعِصيَانُهم وإن كان كبيرةً لا يَضُرّ في إيمانِهم (**وليسُوا بكافِرِينَ**) لأنَّ الكَبِيرةَ لا تُخرِج العبدَ المؤمِنَ مِن الإيمان خِلَافاً للمُعتزلة،[19] فإنَّ عندَهم أنّ مُرتَكِبَ الكبيرةِ ليسَ بمُؤمِنٍ ولا كافرٍ، وخِلَافاً للخَوَارج[20] فإنَّ عندَهم أنَّ مرتكِبَ الكبيرةِ ـ بل الصغيرة ـ كافرٌ.

اعلَم أنَّ قولَه: (لا يتصوَّر زيادتُه إلَّا بنُقصانِ الكُفر) لا يَخلو بحسَب الظاهرِ عن إشكالٍ، إذْ لا يَتَوقف زيادةُ الإيمان على نُقصَانِهِ؛ لأنه يجوزُ زيادةُ إيمانِ الـمُستَدِلّ، بل المحقَّق على إيمان المقلّد، كيفَ وإيمانُ آحاد الأمة لا يكون مِثل إيمان النبيّ عليه الصلاة والسلام، إلَّا أن يقالَ: إنَّ ذلك إنما هو التفاوُتُ بالقوةِ والضَّعف، وكلامُنا ليس فيهِ، وهو غيرُ الزيادة والنقصان الذي كلامُنا فيه، وتفصيل المقام هو: أنَّ حقيقة الإيمان لا يَزيدُ ولا ينقُص **عندنا**، لأنه تصديقٌ قلبيٌّ قطعِيٌّ، فيكون بَسيطاً غيرَ قابلٍ لذلك، فإيمانُ الصالحِ المتَّقِي سواءٌ مع إيمان الفاسقِ العاصي، وعندَ الشافعي: يزيدُ وينقُص لقوله تعالى: {لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۗ} [الفتح: 4]، {وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا}[الأنفال: 2] ونحوهما، وأجابَ الإمام الأعظم عن هذه الآيات الدالة على زيادةِ الإيمان: أنَّ ذلك مُختصّ بعَصره صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنَّهُ كانوا آمنُوا في الجملة، ثم يأتي فرضٌ بعدَ فرضٍ، فيَزيدُ بزيادة المؤمَن به، فلا

---

[19] المعتزلة: فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء الغزال، تميزت بتقديم العقل على النقل، وبالأصول الخمسة التي تعتبر قاسماً مشتركاً بين جميع فرقها.

وإنما قيل لهم معتزلة لاعتزال واصل بن عطاء مجلسَ الحسن البصري، حينما زعَمَ أنَّ الفاسق في منزلة بين المنزلتين: الكفر والإيمان، فطَرَده الحسن مِن مجلسه، ثم انضمَّ إليه قرينُه عَمرو بن عُبَيد في ذلك، وقد استقرَّ مذهبُهم على أصول خمسة، وهي: العدل: وهو عندهم: نفيُ القَدَر. التوحيد: ويريدون به: نفيَ صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، الذي ينبني عليه القول بخلق القرآن، وعدم رؤية الله في الآخرة. الوعد والوعيد: ويريدون به: خُلود مرتكبِ الكبيرة في النار إذا لم يَتُب منها.

المنزلة بين المنزلتين: معناه عندَهم: أنَّ مَن ارتكب كبيرة يخرُج من الإيمان، ولا يدخُل في الكفر، مع اعتقادهم بخلوده في النار في الآخرة إذا لم يَتُب. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو عندَهم: جواز الخروج على الأئمة بالقتال إذَا جارُوا. انظر "شرح الأصول الخمسة" للقاضي عبد الجبار (ص 128 - 141).

[20] سُمُوا خوارج: لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد معركة صفين، إثر تحكيم الحكمين، وقالوا: لا حُكم إلا لله، وأعلنوا البراءةَ منه وممن اتَّبعه، والخوارج تُعَد مِن أول الفرق ظهورًا في الأمة الإسلامية.

ومن أشهر مقالاتهم: تكفيرهم لكثيرٍ من الصحابة، والتكفيرُ بالكبيرة، والخروجُ على أئمة المسلمين. انظر "مقالات الإسلاميين" للأشعري (ص 59)، و"الملل والنحل" للشهرستاني (1/ 114)، و"اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" للفخر الرازي (ص 46). وقد عرَّفهم الشهرستاني في "الملل والنحل" (1/ 133) بقوله: "كلُّ مَن خرج عن الإمام الحق الذي اتَّفَقت الجماعة عليه يسمَّى خارجيًّا، سواء كانَ الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدَهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان".

يُتَصَوَّر في غير عصرِه صلى الله تعالى عليه وسلم. واعتَرَض العلَّامة التَّفْتَازَانِيُّ[21] عليه بأنَّ مِثلَ ذلك ممكِن في غير عصره صلى الله تعالى عليه وسلم كالإيمانِ الإجمَالي والتَّفصِيليّ، ولا شَكَّ أنَّ التفصيلَ أَزْيَدُ مِن الإجمال.

أقول: فرقٌ بين الإيمان بما وُجد ولو إجمالاً، وبين ما سيُوجَد. وإنَّ حقيقةَ التفصيل وذاته عين حقيقة الإجمال، فأصلُهما متَّحِدَان، وقد قيل: إنَّ الإجمالي لا يَنحَطُّ درجةً عن التفصيليّ، فليُتَأمَّل في الكلام، فإنَّ التفصيلَ لا يَتَحَمَّله المقام.

ثم المفهوم من كلام بعضٍ كونُ النِّزَاع لفظيًّا، إذْ مُرَاد مَن قال بالزيادة هو: الزِّيَادة بحسَب الثَّمَرة، وإشرَاقِ الأنوارِ والضِّيَاء في القلبِ، فيَزيد بزيادة الأعمال، ولذا قِيل: إنَّه فرع كون الأعمال جزءاً من الإيمان.[22]

(فصلٌ) [العمل غير الإيمان]

هذا أيضاً بحثٌ متعلِّق بأصل الإيمان، دافعٌ لشُبهة بعضِ المُخَالفين (و**العَمَلُ**) ظاهرُ إطلاقِه وإن اقتَضَى عمومُه لجميع الأعمال، لكن المتبادِرَ هو العملُ الكاملُ كالفَرَائض والواجبات (**غَيرُ الإيمانِ**) ولا دَخلَ في مفهوم الإيمان (**والإيمَانُ غَيرُ العَمَلِ**) هذا كالتَّأكِيد لِمَا سَبَق، والتصريح بما عُلم التزاماً؛ فإنَّ الغَيْرِيَّة مِن الأمور النِّسْبِية، فيَقتَضي وجودُه في أحدِهما لوجوده في الآخَر، وعندَ المُعتَزلة: العملُ ليسَ بغيرٍ للإيمان، بل جزءٌ داخلٌ في ماهِيَّتِه، بحيثُ يَلْزَم مِن عدَم العمل عدَمُ الإيمان.

وعند الشافعي رحمه الله تعالى ليسَ بجزءٍ مِن ماهِيَّتِه وحقيقتِه، بل جزءٌ مِن كمالِ الإيمان، بحيثُ لا يَخرُج تاركُها من الإيمان. لعلّ هذا ما هو المنقول مِن السلف مِن أنَّ العمل جزءٌ عُرفِيٌّ للإيمان، كما يُعَدُّ في العُرف الشَّعْر والظُّفْر واليَدُ جزءاً لزَيدٍ، معَ أنَّه لا يَلزم مِن عَدَمِها عدَمُ زيدٍ، ثم الظاهِرُ مِن تقريرِ الدَّليل الذي سيَذكُره أنَّ ذلك إنما يقابِل المعتزلةَ لا الشافعيَّ، بل النِّزَاع بينَهما مِن قَبيل اللفظيّ فقط (**بدَليلِ أنَّ كَثِيراً مِنَ الأَوقَاتِ**) أي: من الأوقات الكثيرةِ (**يَرتَفِعُ العَمَلُ مِنَ المؤمِنِ**) بحسَب حُكم الشَّرع وأمرِه تعَالى، كارتفاع الصَّلَاة والصوم للحَائض والنُّفَسَاءِ، وارتفاعِهما لمَن عَجَزَ عنهُما بالمَرَض

---

[21] هو: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس، كانت في لسانه لُكنة. من كتبه: (شرح العقائد النسفية). توفي سنة (793هـ).

[22] انظر "البريقة المحمودية..." للشيخ الشارح الخادمي رحمه الله (191/1).

الـــمزمن والوجَع الشديدِ، لا سيَّمَا ومات قبل القضاء، والشيخ الفاني رُفِع عنه الصومُ لا سيما عندَ العَجز عن الفِدية، هذا تفسيرٌ على وَفْق ما يُشير إليه، وعلى تبادُرِ لَفظِهِ، ويمكن أن يُرَاد مِن ارتفاع العَمَل وجودُ الإيمان قبلَ وجودِ العمل، فالمعنى حينئذٍ بدليل أنَّ في الأوقات الكثيرة يوجَد الإيمانُ ولم يوجَد العمَلُ، كما في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ} [المائدة: 6] الآية، حيثُ سمَّاهم المؤمنينَ قبل إقامة الصلاة، وكمَن آمَن فماتَ قبل إتيَان شيءٍ مِن العمل؛ فإنه مؤمِن في الجنة، مع أنه ارتفَعَ عنه العملُ، أي: لم يوجَدْ، وكأصحاب الكهف، فإنَّهم مع مجرَّدِ إيمانِهم مِن أهل الجنة.[23]

ورُبَّما يُستَدلّ على أصل المطلوبِ بنَحو قولهِ تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} [البقرة: 277] إلخ حيث عطَف العملَ على الإيمان، مع اقتضاءِ العطفِ المُغَايَرَةَ. **(ولا يجوزُ)** بحُكْم الشَّرع **(أنْ يُقَالَ: يَرتفِعُ عنهُ الإيمانُ، فإنَّ الحَائِضَ والنُّفَسَاءَ يَرفَعُ اللهُ تعالى عنهُما الصَّلاةَ والصَّومَ)** وهيَ مما ثبَتَ بالإجماع القطعيّ، وقد دَلّ عَلَيهما النصوصُ الشرعية. **(ولا يَجوزُ أن يُقَالَ: يَرفَعُ اللهُ تعالى عنهمُ الإيمانَ)** وإلَّا يَلزَم أن يَجري عليهما حينئذٍ أحكامُ الكُفر كعَدَم الصَّلَاة عليهما عند موتِهما، وعدَمِ الدَّفْن بمَقَابرِ المسلمين، أو أمرِهما بتَرك الإيمان؛ إذ تركُ الإيمان قبيحٌ لعَينهِ، والحكمةُ الإلهية تَقتَضِي عدَمَ الأمرِ بالقَبيح، بل تَقتَضي الأمرَ بالتَّرك، كمَا في الأصول.

ثم لا يَخفَى أنَّ للخَصم أن يقول: مُرادُنا مِن كون الأعمال جُزءاً مِن الإيمان: هيَ الأعمالُ التي يؤتَى بها على نَهْج ما أمَرَه اللهُ تعالى، وما ذكره المصنِّفُ رحمه الله تعالى ليس مِن ذلك، بل خلافُه، وأنت تعلم أنه حينئذٍ يَلزَم تفاوتُ الإيمان على تفاوتِ الأعمال، والإجماع على اتحاده على أنَّ الكلام لو بُني على ما أَشَرنا مِن تأويل مراد المصنِّف؛ لاضمَحَلّ الشُّبهَةُ أيضاً، وأنت تعلم أيضاً أنه لا يَرِد على ما قرّر من الدليل الأخير. **(وقد قالَ لهما الشَّرعُ: دَعِي الصَّومَ)**[24] الظاهر: دَعيا. وكذا قوله: **(ثم**

---

[23] أما أصحاب الكهف فهم من شرع مَن قبلنا، أما في شرعنا فإنه لا يكفي لنجاة المرء من عذاب الله في الآخرة التلفظ بكلمة التوحيد، بل يجب أن يأتي بها مع تحقيق لوازمها من العمل الصالح من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك، ومع ترك ما يناقضها من الكفر والنفاق، ومع تحقيق شروطها من الإخلاص والصدق واليقين والعلم والانقياد والقبول.

ففي صحيح مسلم (23) (37) (38)، وابن حبان (171)، وأحمد (15875): «من قال: لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعْبَدُ من دون الله، حَرُمَ مالُه ودَمُهُ، وحسابُه على الله».

[24] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي اسْتَحَضْتُ فَقَالَ: "دَعِي الصَّلَاةَ أَيَّامَ حَيْضِكِ، ثُمَّ اغْتَسِلِي، وَتَوَضَّئِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَإِنْ قَطَرَ عَلَى الْحَصِيرِ". أخرجه أحمد (25681).

اِقْضِيهِ) لعلَّ مِن سَقَامة النُّسْخَة يعني: اترُكَا أيتُها الحائضُ والنُّفَسَاءُ الصومَ حالَ الحيضِ والنِّفَاس، ثم اقْضِيَا عندَ زَوَالهما، **(ولا يجوزُ أن يقالَ: دَعِي الإيمانَ ثم اقضِيه!!)** إذْ تَركُ الإيمانِ كفرٌ، ولا يُتَصَوَّر القضاءُ في الإيمانِ أصلاً، (وَ)كذا **(يجوز أن يقال: ليسَ على الفقيرِ الزكاةُ)** لعدَم النِّصَاب، **(ولا يَجوزُ أن يقالَ: ليسَ علَى الفَقِيرِ الإيمانُ)** بل الفقيرُ الصابرُ أفضلُ مِن الغنيِّ الشاكرِ على أصحِّ الترجِيحَين، كمَا في «بحر الكلام».[25]

(ونُقِرُّ) الظاهرُ أنه مِن قَبيل عَطفِ قِصَّةٍ على قِصَّةٍ أخرَى، إذْ لا يُعلم له محلٌّ مُنَاسِب لأن يكونَ عطفاً، بل السابقُ إلى الخاطر: جعلُه خَصلَةً مستقلةً مِن غير أن يَجعَلَه مِن لَوَاحِق ماهيَّةِ الإيمان، إلَّا أن يُحمَل على سَقَامة ما عندَنا من النُّسْخَة.

(بأنَّ تَقدِيرَ الخيرِ والشَّرِّ) ولو مِن أفعالِ العِبَاد، ووجهُ التأكِيدِ بقوله: **(كلّه)** إشارة إلى ردِّ المُعتَزِلة القائلين بأنَّ اللهَ تعالى لا يُرِيدُ الشُّرُورَ والقَبَائح، قالُوا: إنَّ فعلَ المكلَّف إن كان واجباً فبإرادته تعالى، وإنْ حَرَاماً فلا يُرِيدُه، بل يريدُ تركَه، ويَكْرَه وقوعَه، وإنْ مَندُوباً فيُرِيدُ وقوعَه ولا يريدُ تركَه، وإنْ مكرُوهاً فبالعَكس، وأمَّا المُبَاح وفعلُ غيرِ المكلَّف؛ فلا يتعلَّقُ بهما إرادةٌ وكراهَةٌ، فالمصنِّفُ رضي الله تعالى عنه يُرِيدُ ردَّه حيثُ قالَ: كلُّه مِن الله سبحانه وتعالى، **(لأنَّهُ لو زَعَمَ)** الزَّعمُ هو الاعتقادُ الباطلُ في العُرف والاِستِعمَال، **(أحدٌ)** كالمُعتَزلة **(أنَّ تقدِيرَ الخيرِ)** أي: تحديدَه وتَعيينَه على ما هُو عليهِ في الخارج **(مِنَ**

وفي الصوم: عَنْ مُعَاذَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ، قَالَتْ: قَدْ كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،" فَيَأْمُرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا يَأْمُرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ ". أخرجه مسلم (335)، وأحمد (25951). أحرورية أنتِ، بفتح حاء وضم راء، أي: خارجية، وهم طائفةٌ من الخوارج نسبوا إلى حروراء، –بالمد والقصر– وهو موضعٌ قريب من الكوفة، وكان عندهم تشدّد في أمر الحيض، شبَّهَتْها بهم في تشدُّدِهم في أمرهم، وكَثْرَةِ مسائلهم وتعنُّتهم بها، وقيل: أرادَتْ أنها خرجت عن السُّنَّة كما خرجوا عنها.

وعند البخاري (304): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ. قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا». والصحيح أنَّ عدمَ صوم الحائض من الأحكام التعبُّدية كما قال الإمام الشافعي. وكون الصوم لا يصح منها لا يُدرَك معناه؛ لأن الطهارة ليست مشروطةً فيه. والله أعلم.

[25] ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول، أبو المعين النسفي الحنفي، عالم بالأصول والكلام، كان بسمرقند وسكن بخارى، من كتبه (بحر الكلام) و (تبصرة الأدلة)، (التمهيد لقواعد التوحيد). انظر: "كشف الظنون" (1/ 337)، و"الجواهر المضية" (2/ 189). توفي سنة (508 هـ).

اللهِ تعَالى، والشرِّ مِن غَيرِ اللهِ تعالى؛) كالنَّفْس الأمَّارة للإنسان، والشيطان كما هو عند البعض أيضاً **(لصَارَ كافِراً باللهِ تعالى)** للإشْرَاكِ باللهِ في الـــخَالِقِيَّة. فقولُه: **(وبَطَل توحيدُه إنْ كان له توحيدٌ)** من قبيل عَطف العِلّة على الـمَعلُولِ، لكن هَذا إنما يكون كُفراً إنِ اعتَقَدوا بـمِثل عَبَدَة الأَصنَام في إثبات الشَّريك في استِحقَاق العبادة، وأمَّا إذَا لم يَجعَلُوا خَالِقِيَّة العَبد كخَالقيَّة اللهِ تعَالى في ذلك؛ فلَا يَكفُرون، بل غايةُ ما لَزِمَهم تضـلِيلُهم وتَفْسِيقُهم، وقد قال بعضُـهم: إنَّ عدَم إضـافةِ المعتزلةِ الشـرورَ إليه تعالى ليس تحقيقاً، بل إجلَالاً وإكراماً، كما نقولُ في إضافة الأشياءِ الـــخَسِيسَة إلَى الله تعالى على الإنفِرَاد: بأنه يخل الإجلال، بل يُذكر إجمالاً، وتحت العُموم، فلا يُقَال: خالِقُ القِرَدَة والـــــخَنَازير، بل يقال: خالقُ كلِّ شـــيء، لكنْ ظاهرُ كلامِ المصـــنِّف الإكفار على الإطلاق، لعلَّ لذلك حَكَم الشـــيخ أبو منصـــور وأتباعُه مِن مَشَـــايخ ما وَراءَ النهر بكُفرهم، بل بالَغُوا فيه إلى أن قالوا: المجوسـيُّ أسـعدُ حالاً منهم!! حيث أثبتُوا شريكاً لا تحصى.[26]

(وثانيها) وفي بعض النسخ: الخَصْلَة الثانية، وفي بعضها: لفظ (فصل).

(نُـقِرُّ) أي: إقرَاراً ناشِئاً عمَّا في قُلوبنا، أو إقرَاراً يُوافِق لِـمَا في قُلوبنا، وإلَّا فالإقرَار المجرَّد ليس بـمُفِيدٍ كما سـبقَ. **(بأنَّ الأعمَالَ)** أي: أفعالَ المكلَّفين، فإنَّ عَمَلَ غيرِ المكلّف كالصّـبيان والـــــمَجانين لا يُتَصَوَّر فيها الأَقسام الآتيةُ، كأعمَال البَهَائم، الظاهرُ أنَّه عامٌّ لـــمِثل عَمَل القلب، فإنَّ الأَقسَام الثَّلَاثةَ قد يوجَد فيه، فبعُموم المجازِ. **(ثَلَاثةٌ:)** الظاهرُ أنَّه اســتِقْرَائي. **(فَرِيضـــةٌ،)**: الفرْض عند الإطلاق: ما ثبَتَ بدليلٍ قطعيٍّ، والظاهر هنا: ما يَعُمّ الواجبَ، مُتَّحِدَان في كونِهما مأموراً بهما، والثواب في فعلِهما والعقاب في تركهما، غايتُه أنَّ إنكارَ الفرض كفرٌ دون إنكار الواجبِ. **(وفَضِـــيلةٌ،)** يَعني يكونُ في فِعلها فضلٌ وثوابٌ، ولكن لا يكون في تركها عُقوبةٌ، **(ومَعْصِيَةٌ)** ففي فِعلها عذابٌ وعُقوبة، وفي تركها ثوابٌ عَظِيم إنِ اشتَهَى نفسَه، ووجَد فرصةً كمَا يدُلّ عليه قولُه صلى الله تعالى عليه وسلم على ما في بعض الكتب: «تَرْكُ ذَرَّةٍ مِن مَحَارم الله خَيرٌ مِن عِبَادةِ الثَّقَلين».[27]

---

[26] في "البحر الرائق شرح كنز الدقائق" لابن نجيم الحنفي (225/3): وَالْمَذْكُورُ فِي كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْمَجُوسِيَّ أَسْعَدُ حَالًا مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ لِإِثْبَاتِ الْمَجُوسِيِّ خَالِقَيْنِ، وَهَؤُلَاءِ خَالِقًا إلَّا عَدْلَهُ.

[27] «لَتَرْكُ ذَرَّةٍ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَـلُ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ». أورده البزدوي في "كشـف الأسـتار" (58/1)، وابن نجيم في "الأشـباه والنظائر" (78). **قلت**: وفي "كشـف الخفاء" (1378): " ردُّ دانقٍ على أهلهِ خيرٌ مِن عبادة سـبعين سـنةً". قال الحافظ ابن حجر: ما عرفتُ أصله. وانظر "المقاصد الحسنة" للسخاوي (518) وهو **حديث موضوع**.

(والفَرِيضَةُ بأَمرِ اللهِ تَعَالى) أي: الأمرُ التَّكلِيفيُّ الإيجابيُّ، وهو الـمُرَاد عندَ الإطلَاق، لكونهِ حقيقةً في الإيجاب يُخالِف غيرَه مِن معاني الأَمر، كالإباحةِ والنَّدْب، فإنَّهما غيرُ مُرَادَين هنا، والحاصلُ أنَّ الفرضَ والواجبَ يكونانِ بأمر الله تعالى، سواءً فُهِمَ مِن نَصّ القرآن، أو مِن السنَّةِ قَولاً أو فعلاً، أو مِن الإجماع، أو من القياسِ إنْ أمكَنَ. فإنَّ الكُلّ راجعٌ إلى وَحي الله تعالى مَتْلُوًّا أو غيرَ مَتْلُوٍّ. **(ومَشِيئتِهِ)** أي: إرادَته، وهيَ: صفةٌ مِن شأنها تَخصيصُ أحدِ المقدُورين في أحدِ الأَوقات بالوقوع، معَ استِوَاءِ نسبةِ القُدرة إلى الكل. **(ومَحَبَّتِهِ)** حقيقةُ المحبة لا يُتَصوّر في حقّه تعالى، فيُحمَل على غايته. فقولُه: **(ورِضَائِهِ)** في مَقَام عَطفِ تفسيرٍ له، فحقيقةُ الرِّضَاء أيضاً لا يُتَصوّر فيه تعالى، لأنَّهما مِن الكَيفِيّات النَّفْسَانيّة.

قال المصنّف رحمه الله تعالى في «الفقه الأكبر»: وغضبُه ورِضَاؤه صِفتَانِ من صفات الله تعالى بلا كَيفٍ.[28] أي: بلا بَيَان الكيفيّة. وفسّره بعضُهم بالإرادة مِن غير اعتراض.

(وقَضَائِهِ) أي: فِعله مع زيادة الأحكام على ما فسَّره العلَّامة التَّفْتَازَاني.

(وقَدَرِه) أي: تقديره، وهو تعيينُ كلِّ مخلوقٍ في الأَزَل على ما هو عليه، فِيما لا يَزال من الحُسْن والقُبح، وما يَحويهِ من الزَّمَان والمكان، وما يترتَّب عليه مِن الثواب والعقاب، وهذَا معنى ما قيل: إنَّ القضاءَ هو: الإرادةُ الأزليَّة المُتَعَلِّقة بالأَشياء على ما هيَ عليه فِيما لا يَزال، والقَدَر: الإيجادُ على قدَر معيَّن في الذَّاتِ والحَال والوَصف.

(وتخليقِهِ) الظاهر أن المُراد منه التكوينُ، فمَعناه إيجادُه بعدَ أنْ لم يكن.

(وحُكمِه) قيل: الحُكْم والقَضَاء مترادفان، كالإرادة والمَشِيئة، لكنَّ المحقِّق التَّفْتَازَاني قال: لا يَبعُد أن يكون إشارةً إلى خِطاب التكوين، يعني قوله: كُنْ.

(وعَمَلِه) أي: الأزليّ، فلا يَحدُث حين يَفعَل ذلك الفريضةُ، وتفصيله أنَّ صفةَ العلم أزليّةٌ مطلقاً، وأمَّا تعلُّقها فإن كان إلى الأَزَليّات فأزليٌّ مُطلقاً، وإن كان إلى المتجدِّدات فأزليٌّ أيضاً باعتبار ما سيَتَجَدّد، وإن باعتبار وجودِها الآن أو قبلُ فليسَ بأزليٍّ، بل حادثٌ، ولا يَلزم من حدوث التعلُّق حدوثُ الصفة.

---

[28] وتمام كلام أبي حنيفة رحمه الله كما في "الفقه الأكبر" (27): وَله يَدٌ وَوجهٌ وَنَفْسٌ، كَمَا ذكره الله تَعَالَى فِي الْقُرْآن، فَمَا ذكره الله تَعَالَى فِي الْقُرْآن مِن ذكر الْوَجْه وَالْيَد وَالنَّفس؛ فَهُوَ لَهُ صِفَات بِلَا كَيف، وَلَا يُقَال: إنَّ يَدَه قدرتُه، أوْ نعْمَتُه؛ لِأَنَّ فِيهِ إبْطَال الصّفة، وَهُوَ قَول أهل القَدَر والاعتزال، وَلَكِن يَدُه صفتُه بِلَا كَيف، وغضبُه وَرِضَاهُ: صفتَانِ من صِفَات الله تَعَالَى بِلَا كَيف.

(**وتَوفِيقِه**) أي: نُصرته. والتوفيقُ هُنا يناسِب أن يفسَّر بنحو ما يقال: جعَل اللهُ فِعل عباده موافِقاً لِمَا يُحبه ويرضاه.

(**وكتابتهِ في اللَّوحِ الـمَحفُوظ**) قيل: اللَّوحُ المحفوظُ عندَ المتكلِّمين: جُسَيم بَسيط في السماءِ السابعةِ، كُتِب فيه ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

رُوي عنه صـلى الله تعالى عليه وسـلم: «أولُ مَا خلَقَ اللهُ تعالى: القلَمُ، فقالَ له: اكتُبْ، فقال القلَمُ: ماذَا أكتُب يا ربِّ، فقال اللهُ تعالى: اكتُبْ ما هُوَ كائنٌ إلى يومِ القِيامَةِ».[29] فإن قيل: فعلَى ما ذُكر يَلزَم أن يكون العبدُ مَجبُوراً في الفَرَائض، غيرَ مُختار فيه، فيَبطُل قاعدة التكليف؟

قلنا: إنه تعالى يَعلَم في الأزلِ أنّ عبدَه الفُلَانيَّ مَثَلاً يَصرِف إرادتَه الـجُزْئِيَّة التي يصلُح تعلُّقها للضدَّين إلى الطاعة، فيُريدُ على وَفقه، ويكتُب كذلك، ويَحكُم، ويقضِي مثلَ ذلك، ومثَّلوا لتوضيح ذلك: أنك إنْ عرفتَ بطريق ما مثلاً أنَّ زيداً يكتُب كتاباً، وحَكَمْتَ بذلك، وكتبتَ أنه يكتُب، فهل لذلك تأثيرٌ في كتابة زيد؟ فكذَا ما نحن فيه.

[(**والفَضِيلَة**) أي: المعهودة (**ليسَت بأمرِ اللهِ تعالى**) وإلا لكان فريضةً كمَا مَرَّ، (**ولكنّ بمشيئته**) لأنَّ اللهَ تعالى خالقٌ لأفعال العِباد كلِّها، ومُريدٌ وشَاءٍ.

ومَـــــحبَّتهِ ورِضـــائهِ وقَضَـــائه وقَدَرِهِ وإرادتهِ وحكمه وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ والمعصـية) حَرَاماً قَطْعِيًّا أو مكروهاً تحريميًّا أو تنزيهيًّا (**ليسَـت بأمرِ الله تعالى**) لأنها قبيحة، والمأمور به يجب أن يكون حسناً، ولذا لا يأمُر الله تعالى بالسُّوء والفحشاء، بل يأمُر بالعدل والإحسان. (**ولكنْ بـــمَشيئتهِ**) لأنه مريدٌ بجميع الكائنات، ومن جملة ذلك أفعالُ العباد كلُّها، ويدخل في ذلك الشرورُ والقبائح خِلَافاً للمعتزلة كما عرفتَ.

(**لا بمَحَبَّتِه**) لأنه لا يُحب الفسادَ، ولا يرضَى لعبادهِ الكفرَ.

---

[29] عن عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، أَوْصِـنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُـونِي. فَلَمَّا أَجْلَسُـوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقَّ حَقِيقَةِ العِلْمِ بِاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَـابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّـاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " يَا بُنَيَّ، إِنْ مِتَّ وَلَسْـتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ. أخرجه أحمد (22705)، والترمذي (2155) وهو حديث صحيح.

(وبقَضَـائه) أي: المعصـية تكون بقضـائه تعالى **(لا برضـائهِ وبتَقديرِهِ وتَخليقِهِ لا بتوفيقه)** قد عرفتَ مفهومات هذه الألفاظ. **(وبـــخِذْلَانه)** الظاهر أنه ضد التوفيق. **(وبعَمَله لا بـــمَعونتهِ)** فإنه تعالى لا يُعِينُ على المَعَاصي والشرور.

فإنْ قِيل: الإيجاد والإرادة ونحوُهما مُستَلزمة للمُعَاونة، بل الرِّضَاء والمحبة؟

قلنا: إنَّ مقتَضـى حُكمه تعالى أنه كلَّما وقَعَ صـرفُ قدرةٍ مِن العبد على فِعلٍ ما، قَبِيحاً أو حَسَـناً؛ أَجرَى اللهُ تعالى عادتَه بإرادته وإيجاده، وإن لم تطَّلِع على وجهِ هذه الحكمة وتفصـيلِها، وإرادتُه وإيجادُه ما هو راضٍ عنه: معونةٌ، وما هو غيرُ راض عنه: خِذلانٌ، ومسألة عدم استلزام الإرادةِ الرضاءَ مبسوطةٌ في الكلاميّة، وعالية عن طول هذه الكرامة **(وكتابته في اللوح المحفوظ)** إذ هيَ مِن جملة الكائنات، وقد عرفْتَ أن كلّ شيء فَعَلوه في الزُّبر، ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلَّا في كتابٍ مبين.[30]

(والثالثة: نُـقِـرُّ بأنَّ الله تعالى على العَرشِ استوَى) يعني هذا النظمُ الشَّريفُ مِن القرآن، **(معناهُ هُوَ)** أي: الله تعالى **(مُوجِد)** فلو قال: الرحمن على العرش، بدَلَ (الله)؛ لكانَ أوفَقَ بالنَّظْم، لعلَّه عبَّـــــر بمَعناه؛ لزيادةِ الإيضاح.

اعلَم أنَّ المصنِّف رضي الله تعالى عنه أرادَ مِن هذه الـــخَصلة الردَّ على نحو الـــمُجَسِّمة والـــمُشَبِّهة والكرّاميّة الـمُثبِتين للهِ تعالى مَكاناً كالعَرش، والـمُشَبِّهين اللهَ تعالى بالأَجسَام مطلقاً، والـمُثبِتين له تعالى جهةً كالفوق، وصورةً كصورة آدمَ، مُتَمَسِّكين بظواهرِ النُّصوص، مِن قوله تعالى: {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡـتَوَىٰ} [طه: 5][31] و{ إِلَيۡهِ يَصۡـعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ} [فاطر: 10] و{تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ} [المعارج: 4]، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «خَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورتِهِ»[32] واختار الأحكَمَ من

---

[30] اقتباس لطيف من قوله تعالى: {وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ} [القمر: 52 ـ 53]، وقوله تعالى: {وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡـقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ} [الأنعام: 59].

[31] وكقوله: {ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ} [السجدة: 4].

[32] قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ – وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ – فَاسْـتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ" قَالَ: " فَذَهَبَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ "، قَالَ: " فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلْ يَنْقُصُ الْخَلْقُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ ". أخرجه أحمد (8171)، والبخاري (6227)، ومسـلم (2841). قال أبو حاتم وابن حبان في "صحيحه" (33/14): هذا الخبرُ تعلَّقَ به مَن لم يُحكِم صناعة العلم، وأخذ يُشنِّع على أهل الحديث الذين يَنتَحِلون السُّنَن، ويَذُبُّون عنها، ويَقْمَعُون مَن خالفها بأن قال: ليسَت تخلو هذه "الهاء" مِن أن تُنسَب إلى الله، أو إلى آدم، فإنْ نُسِبت إلى

تأويل المشبّهات؛ دَفعاً لشُبَه الـــجَاهلين، ورعايةً لفَهم القاصرين، وإن كان الأسلَم تفويضَ عِلمها إلى قائلها عزَّ وجلّ، فأجابَ عن شُـــبْهَتهم القَوِيّة([33]) من ظاهر قوله تعالى: { ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡـــتَوَىٰ} ببعض التأويلِ الذي ذكروه في هذه الآية (هو موجد) (**مِن غَير أنْ يكونَ لَهُ حاجةٌ إليهِ**) احتياج المتمكّنِ إلى المكان (**واســـتقرارٌ عليهِ**) أي: مِن غير تقرُّر على العَرش، وإن كان ذلك ظاهر معناه الظاهر أنه عطَفَ المعلول على العلّة، يعني كأنَّه قال: مَعنَى هذه الآية إما نحو: الإيجاد، أو الاستقرار، والثاني باطلٌ؛ لأنَّه تعالى لو استقرّ على العرش لاحتياجٍ إليه؛ لكان الاِحتياج في شأنه تعالى باطلاً، لأنَّ كلَّ مُحتَاجٍ ممكِنٌ، والله تعالى ليس بمُمكِن، بل واجب، وإنَّ الاِحتِياج نقصٌ، والله تعالى مُنزَّه عن سِمَات النقص.

الله، كان ذلك كُفراً، إذْ {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ } [الشورى: 11]، وإنْ نُسِبت إلى آدم، تعرَّى الخبرُ عن الفائدة، لأنه لا شَكَّ أن كلَّ شيء خُلِق على صورته، لا على صورة غيره. ومعنى الخبر عندنا بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خلق الله آدم على صورته": إبانةُ فضلِ آدمَ على سائر الخلق، "والهاءُ" راجعةٌ إلى آدم، والفائدةُ من رجوع "الهاء" إلى آدمَ دون إضافتها إلى البارىء جلَّ وعلا –جل ربُّنَا وتعالى عن أن يشـــبَّه بشـــيء من المخلوقين– أنه جلَّ وعلا جعَلَ ســـببَ الخلق الذي هو المتحركَ النامي بذاته اجتماعَ الذَّكَر والأنثى، ثم زوال الماء عن قَرَار الذَّكر إلى رحم الأنثى، ثم تغير ذلك إلى العلقة بعدَ مدة، ثم إلى المضغة، ثم إلى الصورة، ثم إلى الوقت الممدود، فيه، ثم الخروج مِن قراره، ثم الرضـاع، ثم الفِطَام، ثم المراتب الأُخَر على حسَـب ما ذكرنا، إلى حُلُول المنيَّة به، هذا وصـفُ المتحرك النامي بذاته مِن خلقه، وخلَقَ الله جل وعلا آدمَ على صورته التي خلَقَه عليها، وطولُه ستُّونَ ذِرَاعاً من غير أن تكون تقدمة اجتماع الذكر والأنثى، أو زوال الماء، أو قراره، أو تغيير الماء علقة أو مضغة، أو تجسيمه بعده، فأبانَ الله بهذا فضلَه على سائر مَن ذكرنا مِن خلقه بأنه لم يكن نطفةً فعلقة، ولا علقةً فمضـغةً، ولا مضـغةً فرَضِيعاً، ولا رضـيعاً ففطيماً، ولا فَطِيماً فشـاباً، كما كانت هذه حالةُ غيره.

وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (3/11): واختُلف إلى ماذا يعود الضـمير، فقيل: إلى آدم، أي: خلَقَه على صـورته التي استمر عليها إلى أنْ أهبِط، وإلى أن مات؛ دفعاً لتوهُّم مَن يَظن أنه لما كان في الجنة كان على صفةٍ أخرى، أو ابتدَأ خلْقَه كما وجد لم ينتقل في النشـــأة كما يَنتَقِل ولدُه من حالة إلى حالة، وقيل للردِّ على الدهرية أنه لم يكن إنســـانٌ إلا من نطفة، ولا تكون نطفة إنســـان إلا من إنســـان، ولا أولَ لذلك، فبَيَّنَ أنه خلِق مِن أول الأمر على هذه الصـــورة، وقيل للردِّ على الطبائعيين الزاعمين أن الإنســـان قد يكون من فعل الطَّبْع وتأثيرِه، وقيل للرد على القَدَرية الزاعمين أن الإنســـان يخلُق فعلَ نفســـه، وقيل: إن لهذا الحديث سبباً حُذف من هذه الرواية، وأنَّ أوله قصة الذي ضرَبَ عبدَه، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال له: إنَّ الله خلَقَ آدم على صـورته... وقيل: الضـمير لله، وتمسـك قائل ذلك بما ورَدَ في بعض طرقه: (على صـورة الرحمن) والمراد بالصـورة: الصـفة، والمعنى: أن الله خلَقَه على صفتهِ مِن العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفاتُ الله تعالى لا يُشبهها شيءٌ.

([33]) وأحال الجواب عن بقايا شبههم على الدلالة والمقايسة.

وقولُه: (**وهو**) أي: الله (**حافظٌ للعَرش وغيرِ العرش... إلخ**) إشـــارةٌ إلى تأويلٍ آخَرَ وهو الحفظ والتصرّف، لعلَّه راجعٌ إلى ما أوّل (استوى) بنحو: قَهَرَ، أي: غَلَبَ.[34]

وإعادة قوله: (**مِن غَير احتِياجٍ**) تمهيدٌ لقوله: (فلو كان محتاجاً... إلخ)، وفي هذا إشـــارة إلى الدليل السابق، يعني: لو كان محتاجاً؛ لكان مُـمْكِناً، ولو كان مُـمْكِناً (**لَـمَا قَدَر على إيـجاد العالَـم وتَدْبِيرِهِ**) لأنَّ المُمكِن لا يوجِد ممكِناً مثلَه؛ لِلُزومِ التَّرجِيح بلا مرجِّح، وكان نفسُه مِن جنس العالَم، فيكون علّةً لنفسه، ولعِلَله، أو يتسلسل، والكلُّ باطل.

(**كالـمَخلُوقين**) أي: العالَـم المخلوقين، الأظهر كعدم قدرة المخلوقين (**فلَو كانَ**) اللهُ تعالى (**مُـحتَاجَاً إلى الـجُلوس**) على العرش (**والقَرَارِ عليهِ**) كما زعم المخالفون المذكورون؛

(**فقَبْل خَلق العَرشِ: أَينَ كَانَ اللهُ تعَالَى**) يَعني أنَّ الدَّليلَ القَطعِيَّ دالٌّ على حُدُوثِ العالَـــــم، ومِن جُـملتهِ: العرشُ، فلو كان العَرشُ مَكاناً له تعالى؛ لَزِم أنْ لا يكون له مكانٌ قبلَ خَلْق العرش، والفرض على احتياجِه إلى الـــمَكان، (**واللهُ تعالى**) مُنَزَّه عَن ذلك، أي: الاحتياج والجلوس (**عُلُوًّا**) أي: تنزيهاً (**كبيراً**) لتَنَافيهِ الوجوبَ الذَّاتيَّ.

ونقول لهم أيضـــاً: إنَّ الاســـتواءَ يجيء بمعنى: الاســـتيلاء، وبمعنى: التَّقْدِير، وبمعنى: النَّمَاء، وبمعنى: الاِستِقرَار والتَّمَكُّن.[35] ولا حُجّة معَ الاحتمال، سِيَّما في اليَقِينيَّات، وأنَّ الـــمُشتَرك[36] لا يدلّ على شيءٍ بلا ترجيحٍ، بل الترجيحُ إنما يكون في إرادةِ المعنى الذي يَليق بوُجوبِ وُجُودهِ وكمَالهِ، والاستيلاءُ والقهرُ والتصرّفُ وبعضُ النصوص مفسِّر لبعضٍ آخر، فيَجوز أن يكون المراد: استَوى خلقُه بتفسير قوله تعالى: {خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ} [الأعراف: 54] أي:

---

[34] قال الشـارح الخادمي رحمه الله تعالى في "البريقة" (159/1): قَالَ صَـاحِبُ "الْمَوَاقِفِ": إنَّهَا ظَوَاهِرُ ظَنِّيَّةٌ لَا تُعَارِضُ الْيَقِينِيَّاتِ الدَّالَّة عَلَى نَفْيِ الْمَكَانِ، فَلَزِمَ أَنَّهَا مُتَشَـابِهَاتٌ، فَنُفَوِّضُ عِلْمَهَا إلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّـلَفِ، أَوْ نُؤَوِّلُهَا بِنَحْوِ الِاسْـتِيلَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، {وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: 22] أَيْ: أَمْرُ رَبِّك، وَ{إلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} أَيْ: يَرْتَضِيهِ.

[35] ترد (استوى) بمعنى: استقرَّ، واعتدَل، وتماثَلَ، وبلَغَ أشدَّه، واستولى، وأقبلَ. وإذا عُدِّي الاسْتِواءُ بـ(إلى) اقْتَضَى مَعْنى الانْتِهاءِ إلَيْهِ، إمَّا بالذَّاتِ أَو بالتَّدْبيرِ، وعَلى الثَّانِي قوْلُه عزَّ وجلَّ: {ثمَّ اسْتَوَى إلَى السَّماءِ وَهِي دُخانٌ} [فصلت: 11]. "تاج العروس": سوي.

[36] كلفظ (العين) فهو مشترك بين: الباصرة والإنسان، والجاسوس، وجريان الماء، والجماعة... "القاموس": عين.

استوى خلقُه على عَرشِه، وعن المالكيّ[37]: الاستواءُ غيرُ مَـــجهُولٍ، والكيفيّةُ غيرُ مَعقُولةٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤَال عنه بِدعَةٌ.[38]

قلتُ: هذَا مَســـلَك السَّـــلَف واختيارُهم، وقد عرفْتَ وجهَ اختيار المصـــنِّف رحمه الله تعالى جانبَ التأويلِ، واعلَم أن أكثرَ هؤلاء الـمُجَسِّمة هم الظاهِريونَ الـمُتَّبِعونَ لظواهِر الكتاب والسنة، كأكثرِ أهل الحديثِ كابن تَيمِيَة،[39] والحقُّ أنَّ الأصـل حملُ النُّصـوص على ظَوَاهرها، لكن إن وجِد صـارفٌ قطعيٌّ

---

[37] كذا في النسخة الحجرية: والصواب: إما مالك، أو المالكية.

[38] أخرج الـدارمي في "الرد على الجهمية" (104): جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْـتَوَى} [طه: 5]، كَيْفَ اسْـتَوَى؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَالِكًا وَجَدَ مِنْ شَـيْءٍ كَوَجْدِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَعَلَاهُ الرُّحَضَـاءُ، وَأَطْرَقَ، وَجَعَلْنَا نَنْتَظِرُ مَا يَأْمُرُ بِهِ فِيهِ. قَالَ: ثُمَّ سُـــرِّيَ عَنْ مَالِكٍ، فَقَالَ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْـــتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَإِنِّي لَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ». وأخرجه أيضاً البيهقي في "الأسماء والصفات" (867)، وفي "الاعتقاد" (ص116).

[39] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد الســـلام الحرَّاني الدمشـــقيّ الحنبلي، أبو العبَّاس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شـــيخُ الإسـلام، وُلد في (حرَّان) وتحوَّل به أبوه إلى دمشـقَ، فنبَغ واشـتُهر، وطُلِب إلى مصـرَ مِن أجل فتوًى أفتَى بها، فقصَـدَها، فتعصَّـبَ عليه جماعةٌ مِن أهلها فسُجن مدَّةً، ونقِلَ إلى الإسكندرية. ثم أطلِقَ فسافرَ إلى دمشق سنة (712 هـــ) واعتُقل بها سنة (720) وأطلِق، ثم أُعيد، وماتَ مُعتَقلاً بقلعة دمشق، فخَرَجَت دمشـقُ كلُّها في جِنازته. كان كثيرَ البحث في فنون الحكمة، داعيةَ إصـلاح في الدِّين، آيةً في التفسير والأصول، فصيحَ اللسان، قلمُه ولسانُه مُتقاربان.

قال الحافظ ابن حجر في "الدرر الكامنة" (175/1): وَكَانَ قوَّالاً بِالْحَقِّ لَا يَأْخُذُهُ فِي الله لومة لائم، قَالَ: وَمَن خالطه وعرَفَه فقد ينسُبني إِلَى التَّقْصِير فِيهِ، وَمن نابذَه وَخَالفهُ قد ينسُبني إِلَى التغالي فِيهِ، وَقد أُوذِيتُ مِن الْفَرِيقَيْنِ مِن أَصْحَابه وأضدادِه، وَكَانَ أَبيضَ أسوَدَ الرَّأْس واللحيةِ، قَلِيلَ الشَّيب، شعرُه إِلَى شَحمةِ أُذُنَيْهِ، وَكَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسانان ناطقانِ، ربعَةً مِن الرِّجَال، بَعيدَ مَا بَين الْمَنْكِبَيْنِ، جَهورِي الصَّوْتِ، فصيحاً سريعَ الْقِرَاءَة، تَعتَرِيهِ حِدَّة لَكِنْ يَقهَرُها بالحِلم. قَالَ: وَلم أرَ مثلَه فِي ابتهالِهِ واستغاثتِهِ وَكَثْرَة توجُّهه، وَأَنا لَا أعتقِدُ فِيهِ عصمَةً بل أَنا مُخَالِفٌ لَهُ فِي مسَائِلَ أَصْلِيَّةٍ وفرعية، فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ سَعَة عِلمه وفَرط شَجَاعته وسَيَلان ذِهنه وتعظيمِهِ لحرماتِ الدِّين بَشَراً من البشر تَعتريهِ حِدَّة فِي الْبَحْثِ، وَغَضبٌ وشَظَفٌ للخَصم، تَزرع لَهُ عَدَاوَةً فِي النُّفُوس، وَإِلَّا لَو لَاطَفَ خُصومَهُ؛ لَكَانَ كَلِمَةَ إِجْمَاعٍ، فَإِنَّ كِبارَهم خاضِعونَ لعُلومِهِ، معترفونَ بشُـنوفِهِ، مُقِرُّونَ بنُدُورِ خَطئه، وَأَنه بَحْرٌ لَا سَـاحل لَهُ، وكنزٌ لَا نَظِير لَهُ، وَلَكِن ينقُمون عَلَيْهِ إخلافاً وأَفعالاً، وكل أحدٍ يُؤْخَذ من قَوْله وَيتْرك. (ت: 728هـ).

قلتُ: للهِ دَرُّكَ يا ابنَ حَجَر أيها الإمام الجليل!! ما أنصفك!!! ثم إنَّ جبلاً أنصفَ جبلاً.

فِيما ذكِر من النصـوص؛ يجب صـرفُها عن ظَوَاهِرها، إمَّا بالتأويل إنْ أمكَن كما عرفتَ، أو بالتَّفْوِيض إلى الله تعالى كما عرفتَ أيضاً، والتفصيل في «الإتقان» للسيوطي،[40] و«شرح العقائد» للتفتازاني.[41]

[القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق]

(**الرَّابعَةُ: نُقِرّ بأَنَّ القُرآنَ**) أي: الكتابَ الذي أنزِل علَى نبيّنا صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذا سائرُ الكتبِ الإلهية، الظاهرُ أنه هو الكلَام النَّفْسِي؛ إذِ البَحثُ عن الكلام اللفظيّ هو المنزَّل على الرسـولِ صلى الله تعالى عليه وسلم، والواقعُ بين دُفَّتي الـــمَصَاحف، الـــمَنْقُولُ إلينا تواتُراً مِن وظائف عِلم الأصـول على ما هو المشـهورُ (**كلامُ اللهِ تعَالَى**) كلامه تعالى عندَ الأشـاعرة: معنى واحدٌ بَسِيطٌ قائِمٌ بذاتهِ تعالى، قدِيم لا يَتَغَيَّر بتغير العِبارات مدلولاتها عبر عنها بالنَّظم المسـمَّى بالقُرآن، فالكَلَام اللَّفْظِيّ هو الدّالُّ عليهِ، لا نفسُ حقيقةِ الكَلَام، وعند صاحب "المواقف": هو الأمرُ الشاملُ للفظِ والـــمَعنَى جميعاً قائماً بذاتِ اللهِ تعَالى، فإنَّ اللفظ لو لم يكن حقيقةً لَزِمَه فواسِـــد، كلُزوم عدَم إكفَار منكِرِ ما بين دُفَّتي الـــمَصَاحف، وعدَمِ الـــمُعَارضَةِ والتَّحَدّي إلى غير ذلك، والتفصيلُ في شَرح الدوَّاني للعقائد العضدية.[42] (**وهُوَ غيرُ مَـــخلُوقٍ**) لأنَّه صفةٌ قائمةٌ بذاتهِ، ومَا شأنُه كذَا فهُو قديمٌ لامتناعِ كونِه تعالى مَحلًّا للحَوَادث، وعندَ الـــمُعتزلةِ: مخلوقٌ وحادثٌ، لأنَّه عندَهم مؤلَّف في أصواتٍ وحروفٍ، وقائمٌ بغَيره تعَالى، كشجرةِ موسَى، واللَّوحِ المَحفُوظ، وفؤادِ جِبريل، فمَعنى كونهِ متكلِّماً أنه موجِدٌ الكلام.

---

[40] "الإتقان في علوم القرآن" (ص777) النوع (78) وفيه: وقال النســفي في "عقائده" [ص191]: النصــوص على ظاهرها، والعدولُ عنها إلى معان يدّعيها أهل الباطن إلحادٌ.

قال التفتازاني في "شرحه" [ص191]: سميت الملاحدة باطنية؛ لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية.

قال: وأمَّا ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصــوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشــارات خفية إلى دقائق، تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان، ومحض العرفان

وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البُلقيني عن رجل قال في قوله تعالى: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} [البقرة: 255]: إن معناه: من ذلَّ، أي: من الذل. ذي: إشارة إلى النفس. يشفَ: من الشفا جواب "مَن". عُ: أمر من الوعي. فأفتى بأنه ملحِد، وقد قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ} [فصلت: 40] قال ابن عباس: هو أن يوضع الكلام على غير موضعه، أخرجه ابن أبي حاتم.

[41] "شرح العقائد" (106/1).

[42] انظر "شرح المواقف" للجرجاني (8/ 112).

(ووحيُهُ) أي: الوحيُ المتلوُّ بلسان جبريل، قال أبو الـــمُعِين النَّسَفي: في طريق وحيهِ تعالى وإعلامِه بجبريل ابتداءً يكلّم الله تعالى بلا صوتٍ ولا حروفٍ، فيَسمَعُه جبريلُ بالصوتِ والحروفِ، ووَعَاه جبريلُ، ونقَل بهِ إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. قيلَ: يَخلُق الله تعالى في فؤادِ جبريل عِلْماً ضَرُورياً على هذا الترتيب الـــخَاصِّ، فيُعَبِّره به جبريلُ على النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وعلى هذين الوَجهَين يَظهَر سِرّ نحو كونه معجِزاً على تقدِير عدَم كونِ الكَلَام اللَّفظِيّ كلامَ الله حقيقةً.

(وتَنزِيلُه) سواءً مِن اللَّوح إلَى سماءِ الدنيا دُفعَةً، أو من السماء الدنيا إلى النبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم نَجْماً نَجْماً،[43] وإنْ فرَّقُوا في (الإنزَال) و(التَّنزِيل) بأنَّ أحدَهما إنزالٌ، والآخَرُ تنزيل.

(وصفتُه) أي: قائمٌ بذاتهِ لا بغَيره كمَا زعَم المعتزلة **(لا هُوَ)** أي: ليس الكلامُ عينَ ذاتِ الله، كمَا زَعَم الفَلَاسِفة والمعتزلةُ في مُطلق الصفات **(ولا غَيرُه)** كما زعَم جمهورُ الـــمُتَكَلِّمين على نَـــهْج سائر الصِّفَات، **(بَلْ هُوَ صِفتُه)** تعالى **(عَلَى التَّحقِيقِ)** بدونِ تجوُّزٍ، لعل فيه ردّاً لبعض الأشاعرة القائلين مِن أن الكلام اللفظيَّ ليس كلاماً حقيقةً، بل معانِيها.

(مكتوبٌ في الـــمَصَاحِفِ)[44] قال العلَّامة التفتازاني: بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالّة عليه.

وقال الشريف الجرجانيّ: فإن قيل: المكتوب في المصحف هو الصورةُ والأشكال، لا اللفظ والمعنى؟

قلتُ: بل اللفظُ؛ لأن الكتابة تصويرُ اللفظ بحروف هِجَاء، نعم الـــمُثبَت في الـــمُصحَف هو الصورُ والأشكال، فيكونُ الإسنادُ مَجازيًّا، أو حقيقةً عُرفيَّةً لا شرعيّة،[45] ويُؤَيِّده ما ذكر في "بحر الكلام" أنه مكتوبٌ في المصاحف، وليس بموضوعٍ فيها، حتى أنَّ مَن أحرَقَ الـمُصحَف لا يَحرِق القرآن، ونظيرُه أنه تعالى مذكورٌ بالأَلْسُن، وليس بموجودٍ فيه، ومعبودٌ في الأماكن، وليس بموجودٍ فيها؛ لأنَّ الصفة لا تنفَكُّ عن المَوصُوف، وأنَّها معنًى لا يَجوز قِيامُه في مَحَلَّين. **(مَقرُوءٌ بالأَلْسُن)** أي: بحُروفه المَلفوظة

---

[43] قال الله تعالى: {وَقُرْءَانا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْث وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلا} [الإسراء: 106].

[44] قال أبو الحسن الأشعري في "الإبانة" (100): والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلوّ بألسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى: {فأَجِرْه حتى يسمعَ كلام الله} [التوبة: 6]. وقال أيضاً بعدُ: ولا يجوز أن يقال: إنَّ شيئاً من القرآن مخلوق؛ لأن القرآن بكماله غير مخلوق. انظر " رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت" عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر (ت ٤٤٤هـــ) (ص175)، و"الاقتصاد في الاعتقاد" للغزالي (169) بتحقيقنا.

[45] الحقيقة العرفية هي: ما صار اللفظ دالاً فيها على المعنى بالعُرف لا باللغة، مثل الدابة: أصلُه في اللغة: اسم لكل ما يدب، ثم صار عرفاً لذوات الأربع. والحقيقة الشرعية: الصَّوْمُ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، والصلاة، والحج، والزكاة... مصطلحات إسلامية.

الـمَسموعة (**مَـحفُوظٌ في القُلوبِ**) بالألفاظ الـمخيَّلة (**غير حَالّ بها**) أي: معَ ذلك لَيس حَالًّا فِيما ذكر؛ لأنَّه معنًى قديمٌ قائمٌ بذاتهِ، يُلفَظ ويُسمَع...، ويُـــحفظ بالنَّظم المخيل، ويكتب بصُورٍ ونُقُوشٍ وأَشكال موضُوعة للحُروف الدالّة عليه. **وبالـــجُملة**: إنَّ كلامَ الله اسمٌ مُشتَرك بين الكلَام النفسيّ القَدِيم، وبينَ الكلَام اللفظيّ الـــحَادث، فالأولُ صفةٌ لَهُ تعَالى، والثاني مَـــخلُوق له تعالى بالذَّات بلا واسطةٍ مِن الـمَخلُوقين، وبذلك يَظهَر كونُه معجِزاً معَ كونِه مُـحدَثاً، ويظهَر وجهُ إِكفَار منكِره، ووَجه الأحكام المخصـــوصـــة به، كعدَم مَسّ الـــــمحدِث،[46] وتِلَاوة الـــــجُنُب،[47] وإكفار مَن ألقَاه في القَاذُورات،[48] واختصاصِ جَواز الصلاة بعينِ الألفاظِ دون مُسَاويها علَى مَذهَب مَن رأى كذلك.[49]

---

[46] أخرج الدارمي (2312)، وأبو داود في "المراســـيل" (92)، والطبراني في "الكبير" (13217)، وفي "الصـــغير" (1162)، والدارقطني في "سننه" (437) مِن حديث أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ كِتَابًا فَكَانَ فِيهِ: «لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ». وأخرجه أيضـــاً ابن أبي شـــيبة في "المصـــنف" (1328)، ومالك في "الموطأ" (234) في القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن مرسلاً، وإسناده صحيح، وهو قطعة من كتاب كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أقيال اليمن، وبعث به عَمرو بن حزم، وبقي بعده عند آله، وقد رواه الحاكم بطوله في " المســـتدرك " (1 / 395) وصـــححه هو وابن حبان رقم (793)، وصحَّحه غيرُ واحد من الحفَّاظ.

[47] أخرج أحمد (639)، وأبو داود (229)، وابن ماجه (594)، والبزار (708)، وأبو يعلي (406) و (408)، وابن خزيمة (208)، والطيالســـي (101)، والحاكم (152/1)، والبيهقي (88/1 – 89) من حديث علي: "كَانَ رَسُـــولُ اللهِ صَـــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ يَقْضِـــي حَاجَتَهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَأْكُلُ مَعَنَا اللَّحْمَ، وَلا يَحْجِزُهُ – وَرُبَّمَا قَالَ: يَحْجُبُهُ – مِنَ الْقُرْآنِ شَـــيْءٌ لَيْسَ الْجَنَابَةَ ".

[48] قال النووي في "روضة الطالبين" في كتاب الرِّدَّة (64/10):

"هي قطع الإســـلام، ويحصُـــل ذلك تارةً بالقول الذي هو كفرٌ، وتارةً بالفعل، والأفعال الموجِبة للكُفر هي التي تصـــدُر عن تعمُّد واستهزاءٍ بالدِّين صريحٌ، كالسُّجود للصَّنم أو للشمس، وإلقاء المصحف في القاذورات، والسِّحر الذي فيه عبادة الشمس ونحوها.

[49] ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّهُ لَا تَجُوزُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الصَّلَاةِ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ قَدَرَ عَلَى الْقِرَاءَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ أَوْ عَجَزَ، وَتَفْسُدُ بِذَلِكَ.

وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَال: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ. ثُمَّ قَال: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِل عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ.

(**والجزء**) أي: الـــمُصحَف، أو الجزء العُرفي في المصاحف (**والكاغِدُ**) الذي كُتِب عليه القرآن، لعلَّ تصريحَه به مع ظهوره في نفسِه ردٌّ لنحو ما ذهَبَ إليه الـحَنابلة مِن قِدَم الـحُروف والأصوات إلى قِدَم الـجِلد والغِلَاف (**والكتابةُ**) لعله بمعنى المكتوب، فإنَّ نفس الكتابة تعلُّقٌ مَحْضٌ لا تتصف بالمخلوقيّة، إذ المخلوقيَّةُ إنما توجَد في الموجود الخارجي (**كلُّهَا مَـــخْلُوقَةٌ لأنَّها أفعالُ العِباد**) وقد قال الله تعالى: {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96] (**وكلامُ اللهِ غيرُ مَـخلُوقٍ**) فهذهِ الجملة ـــ أي: الجزءُ والكاغِد مخلوقٌ ـــ: صُغرَى، وقوله: وكلام الله غيرُ مخلوق: كُبرى، في قوة: ليسَ كلام الله بمخلوقٍ من الشـــكل الثاني، وقوله: (لأنها أفعالُ العباد)؛ دليلٌ للصُّـــغْرَى، وقولُه: (**لأنَّ الكِتَابةَ والـــــحُروفَ والكلماتِ والآياتِ كلَّها آلةُ القرآنِ لـــــحَاجةِ العِبَادِ إليها**) دليلٌ لصُـــغْرَى، دليل (مطوي بطلتي مقدمتيه)[50] لكبرى القياس الأول، هكذا كلام الله ليس بكتابة وحروف وآيات، وما هو المخلوق هو كتـابـة وحروف وآيات، فينتُج: كلامُ الله ليس بمخلوقٍ وهو الكبرى المطلوبُ، ثم نقول: الكتـابـة

قَال النَّوَوِيُّ فِي "المجموع شرح المهذب" (3 / 379 – 381): فَلَوْ جَازَتِ التَّرْجَمَةُ لأَنْكَرَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِرَاضَهُ فِي شَيْءٍ جَائِزٍ.

وَلأَنَّ تَرْجَمَةَ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ قُرْآنًا؛ لأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ هَذَا النَّظْمُ الْمُعْجِزُ، وَبِالتَّرْجَمَةِ يَزُول الإِعْجَازُ فَلَمْ تَجُزْ، وَكَمَا أَنَّ الشِّعْرَ يُخْرِجُهُ تَرْجَمَتُهُ عَنْ كَوْنِهِ شِعْرًا، فَكَذَا الْقُرْآنُ إِضَافَةً إِلَى أَنَّ الصَّلَاةَ مَبْنَاهَا عَلَى التَّعَبُّدِ وَالاِتِّبَاعِ وَالنَّهْيِ عَنِ الاِخْتِرَاعِ، وَطَرِيقُ الْقِيَاسِ مَفْسَدَةٌ فِيهَا.

وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ بِالْفَارِسِيَّةِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ آخَرَ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ}، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بِهَذَا النَّظْمِ، وقَوْله تَعَالَى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}، فَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ بِالسُّرْيَانِيَّةِ، وَصُحُفُ مُوسَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَدَل عَلَى كَوْنِ ذَلِكَ قُرْآنًا؛ لأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ النَّظْمُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا حَيْثُ وَقَعَ الإِعْجَازُ بِهِمَا، إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَل النَّظْمَ رُكْنًا لاَزِمًا فِي حَقِّ جَوَازِ الصَّلَاةِ خَاصَّةً رُخْصَةً؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ بِحَالَةِ الإِعْجَازِ، وَقَدْ جَاءَ التَّخْفِيفُ فِي حَقِّ التِّلَاوَةِ لِقَوْل النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِل عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَكَذَا هُنَا.

وَذَهَبَ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ صَاحِبَا أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ إِذَا كَانَ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ؛ لأَنَّ الْقُرْآنَ اسْمٌ لِمَنْظُومٍ عَرَبِيٍّ لِقَوْل اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، وَقَال تَعَالَى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، وَالْمُرَادُ نَظْمُهُ، وَلأَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ اسْـــمٌ لِلْمُنَزَّل بِاللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الْمَنْظُومِ هَذَا النَّظْمَ الْخَاصَّ الْمَكْتُوبِ فِي الْمَصَـــاحِفِ الْمَنْقُول إِلَيْنَا نَقْلاً مُتَوَاتِرًا، وَالأَعْجَمِيُّ إِنَّمَا يُسَمَّى قُرْآنًا مَجَازًا وَلِذَا يَصِحُّ نَفْيُ اسْمِ الْقُرْآنِ عَنْهُ.

وَالْفَتْوَى عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ عَلَى قَوْل الصَّاحِبَيْنِ، وَيُرْوَى رُجُوعُ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى قَوْلِهِمَا. قَال الشَّلَبِيُّ نَقْلاً عَنِ الْعَيْنِيِّ: صَحَّ رُجُوعُ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى قَوْلِهِمَا.

وَقَدِ اتَّفَقَ الثَّلَاثَةُ – أَبُو حَنِيفَةَ وَصَـاحِبَاهُ – عَلَى جَوَازِ الْقِرَاءَةِ بِالْفَارِسِـيَّةِ وَصِـحَّةِ الصَّـلَاةِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْقِرَاءَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ. انظر "الموسوعة الفقهية الكويتية" (55/33).

50

والحروف والكلمات والآيات آلة القرآن، وآلة القرآن ليسَ بكلامٍ، فالكتابة... إلخ ليس بكلام، فيَنعكِس إلى قولنا: الكلام ليس بكتابةٍ ونحوه.

وقوله: **(وكلامُ اللهِ قائمٌ بذاته)** عطف على قوله: لأنَّ الكتابة... إلخ إشارةٌ إلى دليلٍ آخَر على الكبرى الأولى، تقديره: كلامُ الله قائمٌ بذاته، وما هو قائم بذاته تعالى لا يكون مخلوقاً، لِلُزوم كونهِ تعالى مَحلًّا للحوادث **(ولكنْ مَعنَاهُ)** أي: حقيقتُه **(مفهومٌ بهذهِ الأَشيَاء)** لكونِها ذواتها، فإذا ثبت بالبرهان القطعيّ كونُ القرآن الذي هو كلامُه تعالى حقيقةً، وهو المعنى القائمُ بذاته تعالى دون نحو الألفاظ غير مخلوقٍ **(فمَنْ قَالَ بأنَّ كلَام اللهِ تعالى مَخلُوقٌ)** أي: محدَث موجودٌ بعد العدَم كالمعتزلةِ **(فهو كافِرٌ بالله تعالى العَظيمِ)** لإنكار مَا ثبَت بالدليل اليقيني كما عرفتَ.

فإن قيل: كيف يثبُت قطعيًّا، وفي خلافِ هذه الأدلّة مذاهبُ، وهم يَستَدلّون على مَطالبهم بحُجَج لا أقلَّ مِن إيراثِ الشُّبهة، ولا قطعيّةَ مع الشُّبهة؟

قلنا: قد تكون الشُّبهة في غايةِ ضعف، لا يُلتَفت إليه، وقد قرّر في محلّه أنَّ القَطع على مَعنَيين، فلا يضرُّ الشبهة الناشئة عن غَير الدليل، ولا يبعُد أن يقال: الخِلَاف إنما حدَث بعد الإجماع مِن القرن الأول، فالاِختِلَاف اللَّاحِق لا يَضُرّ الإجماعَ السابق، لكن فيه تأمّلٌ. والحديث الواقع في «شرح العقائد» من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "القرآن كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوقٍ، ومن قال إنه مخلوقٌ فهو كافر بالله العظيم"، قال الإمام الصَّغَاني: هذا موضوع، وقال السخاوي: بجميع طرقهِ باطلٌ، وأوردَه ابن الجوزي في «موضوعاته»، كذا في «موضوعات علي القاري»[51] لكن إنْ أراد الكلامَ

---

[51] قال ابن الجوزي في "الموضوعات" (107/1) في الحديث المرويّ عَن جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ": هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ عَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: مُحَمَّدُ بن عبيد يكذب وَيَضَع الحَدِيث. وانظر "الموضوعات" للصغاني (134). قال السخاوي في "المقاصد الحسنة" (487): ونُقِل إلينا عَن أبي الدَّرداء مرفوعاً: القرآنُ كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوق. ورَوَى ذلك أيضاً عن معاذ وابن مسعود وجابر مرفوعاً، ولا يَصِحُّ شيءٌ من ذلك، أسانيدُه مظلمةٌ لا ينبغي أن يُحتَج بشيءٍ منها، ولا أن يُستَشهَد بها، وسَرَد مِن الأدلة المرفوعة لمعنى كونِ القرآن كلامَ اللَّه غير مخلوق ما فيه الكفاية، وكذا ساقَ عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ما فيه مَقْنَع، قال: وعلى هذا مضَى صدْرُ الأمة، لم يَختَلِفُوا في ذلك، ثم نُقِل عن جعفر بن محمد الصادق فيمَن قال إنه مخلوق: إنَّه يقتَل ولا يُستتاب، وكذا عن ابن المديني ومالك: إنه كافر، زاد مالك: فاقتُلوه، وعن ابن مهدِي وغيرهِ أنَّهُ يُستتاب، فإن تابَ وإلَّا ضُربتْ عنقُه، وقال البخاري في "خلق أفعال العباد": تواترتِ الأخبارُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ القرآنَ كلامُ اللَّه، وأنَّ أمْرَ اللَّه قبل مخلوقاته قال: ولم يُذكَر عن أحدٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسانٍ خلافُ ذلك، وهم الذين أدَّوا إلينا الكتابَ والسنة قرناً بعد

اللفظيّ دون النفسيّ فالظاهرُ أنه ليس بكُفرٍ، وإن كان الأَولى والأدب عدمَ تصريحه للإيهام، وأما إنكار ما بين دفّتي المصاحف كُلًّا أو بعضاً إلى سُورة قصيرة، أو آيةٍ فكفرٌ، لكن بمعنى آخَر قد أشَرْنا إليه فيما سبق. **(والله تعالى معبُودٌ)** لكونهِ واجباً لذاته **(لا يزال عمَّا كان عليه)** في الأزل، يعني: كلُّ شيءٍ ثبَتَ له تعالى في الأَزَل لا يَنْفَكّ عنه فيما لا يزال؛ لأنَّ كل ما ثبَتَ قِدَمه ثبَت بقاؤُه، ولأنَّ ما قام به تعالى كمالٌ له، فلو زال لَزم زوالُ كماله، وهو نقصٌ يَجب تنزيهُه عنه، فلَا يَزال عنه تعالى كلامُه، ولا يَنتَقل إلى اللِّسَان بالقراءة، وإلى الكتابة بالمكتوبيّة، وإلى القلوب بالمحفوظيّة، فهذا معنى قوله رحمه الله تعالى: **(وكلامُ الله تعالى مَقرُوءٌ، ومكتوبٌ، ومَحفُوظٌ مِن غير مُزَايلةٍ عنه)** أي: مُفارقَةٍ منه تعالى، ومِن قَبيل عطف المعلول على العلة، إذ قوله: وكلام الله.. إلخ في حكم العلّة لما بعده وهو في المعنى متعلّق بقوله فيما سبق: مكتوب في المصاحف، إلى قوله: غير حالّ فيها.

وفي حكم العلّة له، يعني لَو كان حالّاً لَمَا ذكر لمفارقته عنه، لأنه ما لم يفارق عنه تعالى لا يحلّ بغيره، لأنك قد عرفتَ أن قيام المعنى بمَحَلّين مُمتَنِع، والصفة مِن قبل المعنى.

[أفضل هذه الأمة بعد نبيها]

(الخامِسَة: نُقِرُّ بأنَّ أفضَلَ هذهِ الأمَّةِ بعدَ نَبِيِّنَا محمدٍ صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلَّ الأَولى أن لا يُذكر لفظ (بعدَ نبيِّنا)، لأنه إنْ أريدَ بعد انتقال (نبيّنا)؛ يَلزم أن لا يكون الصّدِّيقُ الأعظمُ رضي الله تعالى عنه أفضلَ الأمة، وقد صَحِبَ نبيَّنا، وإن أريدَ بعد فَضل نبيِّنا؛ فلا يتناسَب قَيدُ (هذه الأمة) وإنَّ نسبةَ الفضل بين الأمَّة والنبيّ ليس بمعقول، وتَعمِيمُ الأمة للنبي وغيره بطريق كعُموم المجاز بعيدٌ معنًى ومَبنًى، ويمكن أن يقال: إنَّ قيدَ (هَذهِ الأمَّة) احترازٌ عن عيسى عليه السلام، ومعنى (بعد نبينا): بعدَ انتقال نبيِّنا، فلا يُعتَبر بمفهوم المخالفة؛ لوجود فائدة (غيره) كما في الأصولية.

ثم معنى الأفضلية: الأكثريةُ ثَوَاباً عند الله تعالى، لا أنه أعلَمُ وأشرَفُ نسَباً، وإلَّا فلا كلامَ حينئذٍ في أفضليّةِ عليٍّ رضي الله تعالى عنه على الكلّ. قال المولَى العلَّامةُ التفتازاني مشيراً إلى نحو ما ذكر: والإنصاف أنه: إن أريد بالأفضليةِ كثرةُ الثواب؛ فللتَوَقُّف بين تفضيل عُثمان وعلي وجهٌ، وإنْ أريدَ كثرة ما يَعُده ذوو العقول من الفضائل؛ فلَا؛ لأنَّ عَلِيًّا أعلَمُ الصحابة وأشجعُهم وأزهَدُهم عن الدنيا، وأكثرُهم سُجوداً وجُوداً.

قرن، ولم يكن بين أحدٍ من أهل العلم فيه خلافٌ إلى زمَنِ مالكٍ والثوريّ وحمَّاد وفقهاء الأمصار، ومضَى على ذلك مَن أدركناه مِن عُلَماء الحَرمين والعراقين والشام ومصر وخراسان...

[أبو بكر الصديق]

وأسبَقُهم إسلَاماً ـــــــ (**أبو بكرٍ الصِّدّيق**)[52] لتَصدِيقه النبيَّ عليه الصلاة والسلام في أمرِ النُّبُوّة بلا تردُّدٍ،[53] وفي أمْر الـمِعرَاج مِنَ السَّماء ـــ: الصدّيقُ، وهو عَبد الله بنُ عُثمَانَ، أبو قُحَافة،[54] واسم أمّه: أمُّ الـــخَير سَلْمَى، ماتَت مُسلِمَةً. وهو أولُ مَن أسلَمَ في قول الحسن والنّخَعي، قال جماعة: لا يُشَكّ فيه، وشَـهِد مع رسـول الله جميعَ الـــمَشَـاهد، ودفَع إليه رايَتَه العُظمَى يوم تبوكَ، وثبَتَ معه يوم أُحُد

---

[52] عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ عَلَّقَتْ عِنْدَهُ بُطُونُ قُرَيْشٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَمَّا رَآهُ مُعَاوِيَةُ مُقْبِلًا قَالَ: يَا سَعِيدُ، وَاللَّهِ لَأُلْقِيَنَّ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَسَائِلَ يَعْيَا بِجَوَابِهَا. فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ: لَيْسَ مِثْلُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْيَا بِمَسَائِلِكَ.

فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ: كَانَ وَاللَّهِ لِلْقُرْآنِ تَالِيًا، وَعَنِ الْمَيْلِ نَائِيًا، وَعَنِ الْفَحْشَـاءِ سَـاهِيًا، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، وَبِدِينِهِ عَارِفًا، وَمِنَ اللَّهِ خَائِفًا، وَبِاللَّيْلِ قَائِمًا، وَبِالنَّهَارِ صَـائِمًا، وَمِنْ دُنْيَاهُ سَـالِمًا، وَعَلَى عَدْلِ الْبَرِيَّةِ عَازِمًا، وَبِالْمَعْرُوفِ آمِرًا، وَإِلَيْهِ صَائِرًا، وَفِي الْأَحْوَالِ شَاكِرًا، وَلِلَّهِ فِي الْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ ذَاكِرًا، وَلِنَفْسِهِ بِالصَّالِحِ قَاهِرًا. فَاقَ أَصْحَابَهُ وَرَعًا، وَكَفَافًا، وَزُهْدًا، وَعَفَافًا، وَبِرًّا، وَحِيَاطَةً، وَزَهَادَةً، وَكَفَاءَةً، فَأَعْقَبَ اللَّهُ مَنْ ثَلَبَهُ اللَّعَائِنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... رواه الطبراني في "الكبير" (10589)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (209/73). قال الهيثمي في "المجمع" (14942): وفيه من لم أعرفهم.

[53] أخرج الترمذي (3661): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ،» فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وأخرجه ابن ماجه مختصراً (94): وزاد رزين (كما في "جامع الأصول" 6405): «وما عرضتُ الإسلام على أحدٍ إلا كانت له كَبْوَة، إلا أبو بكر، فإنه لم يَتَلَعْثَم في قوله». والمراد: أن أبا بكر رضي الله عنه لم يتوقف في تصديقه النبي صلى الله عليه وسلم كما يجري للعاثر، إنما بادر إلى التصديق. (التلعثم): التردُّد في القول والفعل والتَّتعتع فيه، وهو قريب من الكبْوة في الاستعارة.

[54] قال يحيى بن معين: «أَبُو بَكْرٍ الصِّدّيقُ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ وَعُثْمَانُ هُوَ أَبُو قُحَافَةَ وَلَقَبُهُ عَتِيقٌ؛ لِأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ جَمِيلًا فَسُمِّيَ عَتِيقًا». أخرجه الدولابي في "الكنى" (45).

حين انهزَمَ الناس، وهو أولُ مَن جمَع القرآن،[55] وأولُ مَن قاءَ تـــــحرُّجاً من الشُّـبُهات،[56] وقال عليه الصلاة والسلام: «هو أولُ مَن يَدْخُلُ الــجَنَّةَ مِن أمَّتي»[57] وجعَلَه صلى الله تعالى عليه وسلم إمَاماً في الصــلاة عندَ اشـتِدَاد مَرضِــه الذي ماتَ فيه بعدَ أن صــلَّى تلك الصــلاةَ عُمَر رضــي الله تعالى عنه بالناس،[58] وفي روايةٍ: لما سمع عليه السلام صوت عُمَر خرَج حتى أَطْلَعَ رأسَهُ مِن حُجْرَته ثم قال: «لا، لا، لا، ليُصَلِّ بالناسِ ابنُ أبي قُحَافَةَ»[59] قالَه مُغضَباً. وذُكِر عند عُمَرَ أبو بكرٍ رضي الله تعالى عنهما، فبكى وقال: وَدِدْتُ أنَّ عمَلي كلَّه مثلُ عَمَله يوماً واحداً مِن أيامهِ، وليلةً واحدةً مِن لَيَاليهِ.[60] وقد أخرَج أنس حديثَ الغارِ، وزادَ في آخره: فرَفَع النبيُّ عليه الصلاة والسلام يَدَيه قائلاً: «اللهمَّ اجعَل أبَا بكرٍ مَعِي في دَرَجَتي يومَ القِيَامة»، فأوحَى الله تعالى: أنَّ الله تعالى استَجَاب لكَ.[61] رُوي عنه أنه قال:

---

[55] قال علي بن أبي طالب فيما أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (280)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (32232) بإسناد صحيح: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ.

[56] عَنْ عَائِشَــةَ رَضِــيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَــيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَــيْءٍ فِي بَطْنِهِ». أخرجه البخاري (3842) وانظر "جامع الأصول" لابن الأثير (8179).

[57] أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (258) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّــلَامُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَدِدْتُ يَا رَسُــولَ اللَّهِ، أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُــولُ اللَّهِ صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي». وأخرجه أبو داود (4652)، والطبراني في "الأوسط" (2594) بإسناد ضعيف.

[58] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَتَاهُ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَــلِّ، قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِــيفٌ؛ إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَــلِّ. فَقُلْتُ مِثْلَهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ. فَصَلَّى، وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ الْأَرْضَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فَأَشَــارَ إِلَيْهِ: أَنْ صَــلِّ. فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِــيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَعَدَ النَّبِيُّ صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ إِلَى جَنْبِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْــمِعُ النَّاسَ التَّكْبِيرَ». أخرجه البخاري (712)، ومسلم (418)، وأحمد (25257).

[59] أخرجه أبو داود (4661)، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" (1/ 454)، وابن أبي عاصم في "السنة" (1160)، والآجري في "الشريعة" (1294). وإسناده ضعيف.

[60] أورده ابن الأثير في "جامع الأصول" (6426)، والتبريزي في "مشكاة المصابيح" (6034).

[61] أخرجه الآجري في "الشريعة" (1275): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِــيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْغَارِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَأَدْخُلْ قَبْلَكَ، فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ كَانَ بِي، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَالْتَمَسَ الْغَارَ بِيَدِهِ، وَشَقَّ ثَوْبَهُ، فَكُلَّمَا رَأَى جُحْرًا فِي الْغَارِ أَلْقَمَهُ ثَوْبَهُ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَوْبِهِ أَجْمَعَ، وَبَقِيَ جُحْرٌ مِنْهَا، فَوَضَــعَ عَقِبَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: يَا رَسُــولَ اللَّهِ،

يا لَيتني شجرةٌ تُعْضَد، ثم تُؤْكَلُ.[62] وقال عُلَماء السِّيَـــر: كانَ أبو بكرٍ رضي الله تعالى عنه يَـــحْلِب للحَيّ أغنامَهم، فلما بُويع قالَت جاريةٌ: لا نُحلَب فيما بعدُ، فسَمِعَها فقالَ: بَلَى لَأَحْلِبَنَّها، ولا أغيّرُ مَا عَليّ مِن خُلُقٍ.[63] روي أنه قال رجلٌ لعُمرَ: إنَّهُ خَيرُ هذه الأمة، فعَمَد عُمَر ضرَبه [بالدِّرَّة] ويقولُ: كذَبْتَ وأبو بكر خيرٌ منّي.[64] وسُئل عليٌّ عنه، فقالَ: ذاكَ امرؤٌ ســـمَّاه اللهُ تعَالى صِدّيقاً على لسان جبريلَ ومحمَّدٍ، كان خليفةَ رسولهِ، رَضِيَه لدِيننا فرَضِيناهُ لدُنْيَانا.[65] وسألَ محمد ابن الـــحَنَفِية أبَاه عَليًّا رضـــي الله تعالى عنه: أيُّ الناسِ خيرٌ بعدَ رســـول الله؟ قال: أبو بكر، وســـأل: ثمَّ مَن؟ قال: عمرُ، وسـأل: ثُمَّ مَن؟ فسـكتَ عليٌّ، فقال: لو شـئتُ لأَنبَأْتُكم بالرابع، فقال: أنتَ؟ فقال: أبوكَ امرُؤ من

ادْخُلِ الْغَارَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، أَيْنَ ثَوْبُكَ؟»، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا صَنَعْتُ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبَا بَكْرٍ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَأُوْحِي إِلَيْهِ أَنِّي قَدِ اسْـتَجَبْتُ لَكَ ". قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ كَأَنَّهُ بَيْتُهُ، وَيَصْنَعُ بِمَالِ أَبِي بَكْرٍ كَمَا يَصْنَعُ بِمَالِهِ. وأخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (134)، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث "الإحياء" (1367/3): وأمَّا حديثُ ســدِّ الـــخِرَق بقَدَمهِ فأخرجَه أبو نعيم في "الحلية" [(33/1)] من حديث عطاء بن أبي ميمونة عن أنس...

[62] أخرجه ابن أبي الدنيا في "المتمنين" (10). وهذا التمني جرى على ألسـنة بعض الصـحابة أيضـاً، مِن مثل: أبي ذر، فقد روى أحمد في "مسنده" (21516): عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: "إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِـعُ أَرْبَعِ أَصَـابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَـاجِدٌ. لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ، لَضَـحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ عَلَى، أَوْ إِلَى، الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ " قَالَ: فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: "وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ ". وأخرجه ابن ماجه (4190)، والبزار (3524)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (1135)، والحاكم (510/2 – 511) و(544/4)، والبغوي (4172)، والترمذي (2312). وهو حسـن لغيره. كما تمنى أيضـاً أبو الدرداء: ... وَلَوَدِدْتُ أَنِّي شَـجَرَةٌ تُعْضَدُ، ثُمَّ تُؤْكَلُ. أخرجه ابن أبي الدنيا في "المتمنين" (123)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (787).

[63] "الطبقات الكبرى" لابن سعد (170/3)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (324/30)، و"أسد الغابة" لابن الأثير (324/3) وفيه: ... وَكَانَ يَحْلِبُ لِلْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ، فَلَمَّا بُوِيعَ لَهُ بِالْخِلافَةِ، قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ: الآنَ لا يُحْلَبُ لَنَا مَنَائِحُنَا، فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: بَلَى، لَعَمْرِي لأَحْلِبَنَّهَا لَكُمْ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ، فَكَانَ يَحْلِبُ لَهُمْ، فَرُبَّمَا قَالَ لِلْجَارِيَةِ: أَتُحِبِّينَ أَنْ أُرْغِيَ لَكُمْ أَوْ أَنْ أُصَـرِّحَ؟ [أي: أجعلُ اللَّبنَ فيه رغوة، أو بدون رغوة] فَرُبَّمَا قَالَتْ: أَرْغِ، وَرُبَّمَا، قَالَتْ: صَـرِّحْ، فَأَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ؛ فَعَلَ.

[64] "تاريخ دمشق" لابن عساكر (340/30).

[65] "الشريعة" للآجري (1192)، و"فضائل أبي بكر" للعشاري (11)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (75/30)، و"أسد الغابة" لابن الأثير (310/3).

المسلمين.[66] وقال أبو عِمران: قال أبو بكرٍ: لَوَدِدْتُ أنّي شَعرةٌ في جَنْبِ عَبدٍ مؤمِنٍ.[67] وعن يحيى بن أبي كثير: كان أبو بكرٍ يقولُ في خُطبته: أينَ الوَضّآةُ الحَسنةُ وُجُوهُهُم، المُعجَبُون بشبابهم؟ أين الملوكُ الذين بَنَوا المَدَائنَ وحَصَّنُوها بالحِيطَان؟ أينَ الذِينَ كانوا يُعطَون الغلبَةَ في مواطنِ الحَرب؟ قد تَضَعْضَعَ بهمُ الدهرُ، فأصبَحُوا في ظُلُماتِ القُبُور؟ الوَحَا الوَحَا، العجَلَ العَجَلَ.[68]

ومِن خُطبته حين وُلِّيَ: أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، قد وُلِّيتُ أمرَكم، ولستُ بخَيركم، ولكنه قد نزَل القرآنُ، وبيَّن صلى الله تعالى عليه وسلم السننَ فعَلِمْنَا، اعلَمُوا أنَّ أكيسَ الكيسِ التَّقوَى، وأنَّ أحمَقَ الأَحمَقِ الفُجُورُ، وأَنَّ أقواكم عندِي الضعيفُ، وأَنَّ أضعفَكم عندي القويُّ حتَّى آخُذَ منه الحقَّ، إنما أنا متَّبِعٌ ولستُ بمُبتَدِعٍ، فإنْ أَحسَنْتُ فأَعينُوني، وإنْ أزغْتُ فقَوِّمُوني.[69]

قيل: سببُ موتهِ لَدغُ حيَّةٍ ليلةَ الغار،[70] وقال ابن عُمَرَ رضي الله تعالى عنهما: كان سببُ موت أبي بكر وفاةَ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم كمَدَ[اً]، فما زال جسمُه يَحْرَى حتى مات.[71] وكان

---

[66] أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (445): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَلِيٍّ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، قَالَ: ثُمَّ بَادَرْتُهُ وَخِفْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ فَيُجِيبُنِي بِغَيْرِهِ، ثُمَّ قُلْتُ: أَنْتَ؟ قَالَ: لَا، أَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ لِي حَسَنَاتٌ وَلِي سَيِّئَاتٌ، يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ.

ولفظ البخاري (3671): عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». وهو عند أبي داود (4629)، وابن ماجه (106) أيضاً.

[67] أخرجه أحمد في "الزهد" (560).

[68] أخرجه أبو داود في "الزهد" (27)، وأبو نعيم في "الحلية" (325/10). والوحا الوحا: الإسراع الإسراع، أو العجلة العجلة.

[69] "الطبقات الكبرى" لابن سعد (182/3)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (302/30) وفيهما: أحمق الحمق.

[70] لدغُ الحية أبا بكر ليلةَ الهجرة في الغار... أورده الذهبي في "سير أعلام..." (268/1) وقال: حديث منكر، سكت عنه البيهقي... وآفته الراسبي. **قلت**: وهو: عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي. قال الذهبي في "الميزان" (4804): أتى بخبر باطل طويل، وهو المتهم به.

[71] (يَحْرَى) أي: ينقص من ألمٍ وغمّ. يقال: حرى الشيء يحرى: إذا نقص. "النهاية" (1/ 375). الكمدُ: الحزن المكتوم. "مختار الصحاح". والأثر في "تاريخ دمشق" (408/30).

سببُ مرضه اغتسالَه من ماءٍ بارد، فحُمَّ خمسةَ عَشَرَ يوماً، لا يخرُج إلى الصلاة، وأمَر عمرَ أن يصليَ بالناس.[72] فلا تلومُوني على إكثَاري، فإنَّ مَن أحبَّ شيئاً أكثَرَ ذِكرَه.[73]

[عمر بن الخطاب]

(**ثُمَّ عُمرُ بنُ الـــخَطَّابِ**)[74] بنِ نُفَيل، واسمُ أمِّه: حَنْتَمة بنتُ هاشم بن الـــمُغِيرة، أسلَمَ في ستٍّ مِن النبوة، وقيل: في خمسٍ بعد إســـلام ثلاثةٍ وثَلَاثين، والأصـــحّ أنه أتمَّ الأربعين، فنَزَل جِبرائيلُ، فقال:

---

[72] أخرجه الحاكم في "المستدرك" (4409): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ مَرَضُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَكَانَ سَبَبُ مَرَضِهِ أَنَّهُ اغْتَسَلَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ، فَحُمَّ خَمْسَةَ عَشَرَ لَيْلَةً لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَهُوَ فِي دَارِهِ الَّتِي قَطَعَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وِجَاهَ دَارِ عُثْمَانَ الْيَوْمَ، وَأَوْصَى أَنْ تُغَسِّلَهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ امْرَأَتُهُ، وَإِنَّهَا ضَعُفَتْ فَاسْتَعَانَتْ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكُفِّنَ فِي ثَوْبَيْنِ أَحَدُهُمَا غَسِيلٌ، وَيُقَالُ: فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ، وَحُمِلَ عَلَى سَرِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَرِيرُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الَّذِي كَانَتْ تَنَامُ عَلَيْهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ، وَدُفِنَ فِي الْبَيْتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلًا، وَجُعِلَ رَأْسُهُ بَيْنَ كَتِفَيِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". وهو في "تاريخ دمشق" (409/30)، و"أسد الغابة" (324/3).

[73] أخرج ابن أبي الدنيا في "الزهد" (534)، وفي "ذم الدنيا" (464): قالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْـــلِ الْبَجَلِيُّ: أَكْثَرَ قَوْمٌ ذَمَّ الدُّنْيَا عِنْدَ رَابِعَةَ، فَقَالَتْ: «أَقِلُّوا مِنْ ذَمِّ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ». وانظر "كشف الخفاء" (2352).

قال مصـطفى عفا الله عنه: والحديثُ عن الصـدّيق هو كما قال الشـارح الخادمي ممتع ولا يكاد ينتهي، وإني أذكر حديثاً أخرجه أحمد في "مسنده" (16577) من حديث ربيعة الأسلمي، وهو طويل طيب، وفيه: ... إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي بَعْدَ ذَلِكَ أَرْضًـا، وَأَعْطَى أَبَا بَكْرٍ أَرْضًـا، وَجَاءَتِ الدُّنْيَا فَاخْتَلَفْنَا فِي عِذْقِ نَخْلَةٍ فَقُلْتُ: أَنَا هِيَ فِي حَدِّي، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هِيَ فِي حَدِّي، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ كَلَامٌ، فَقَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ كَلِمَةً كَرِهَهَا وَنَدِمَ، فَقَالَ لِي: يَا رَبِيعَةُ رُدَّ عَلَيَّ مِثْلَهَا حَتَّى تَكُونَ قِصَاصًا، قَالَ: قُلْتُ: لَا أَفْعَلُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَتَقُولَنَّ أَوْ لَأَسْـتَعْدِيَنَّ عَلَيْكَ رَسُـولَ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَرَفَضَ الْأَرْضَ وَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْطَلَقْتُ أَتْلُوهُ، فَجَاءَ نَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ فَقَالُوا لِي: رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، فِي أَيِّ شَيْءٍ يَسْتَعْدِي عَلَيْكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَالَ لَكَ مَا قَالَ، فَقُلْتُ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ هَذَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، **هَذَا ثَانِيَ اثْنَيْنِ، وَهَذَا ذُو شَيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ**، إِيَّاكُمْ لَا يَلْتَفِتُ فَيَرَاكُمْ تَنْصُرُونِي عَلَيْهِ فَيَغْضَبَ فَيَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَيَغْضَبَ لِغَضَبِهِ**، فَيَغْضَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِغَضَبِهِمَا فَيُهْلِكَ رَبِيعَةَ، قَالُوا: مَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: ارْجِعُوا، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبِعْتُهُ وَحْدِي، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ كَمَا كَانَ، فَرَفَعَ إِلَيَّ رَأْسَهُ فَقَالَ: " يَا رَبِيعَةُ، **مَا لَكَ وَلِلصِّدِّيقِ؟** "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَ كَذَا كَانَ كَذَا، قَالَ لِي كَلِمَةً كَرِهَهَا فَقَالَ لِي: قُلْ كَمَا قُلْتُ حَتَّى يَكُونَ قِصَاصًا فَأَبَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجَلْ فَلَا تَرُدَّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قُلْ: غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ "، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، قَالَ الْحَسَنُ: فَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَبْكِي.

[74] وفي حديث الطبراني في "الكبير" (10589):... قَالَ مُعَاوِيَةُ لابن عبَّاسٍ: فَمَا تَقُولُ فِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؟ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَفْصٍ: كَانَ وَاللَّهِ حَلِيفَ الْإِسْـلَامِ، وَمَأْوَى الْأَيْتَامِ، وَمَحَلَّ الْإِيمَانِ، وَمَلَاذَ الضُّـعَفَاءِ، وَمَعْقِلَ الْحُنَفَاءِ. كان لِلْخَلْقِ حِصْـنًا، وَلِلْبَأْسِ

استَبْشَر أهلُ السماء بإسلَام عُمَر.[75] وظَهَر الإسلامُ يومَ إسلَام عُمَر، وكان إسلامُه فَتْحاً، وهِجرتُه نَصْراً، وغَضَبه عِزًّا، ورِضَاه عَدْلاً.[76] وشَهِد المَشَاهد كلَّها معه عليه الصلاة والسلام، ونزَل القرآنُ وَفْقَ

عَوْنًا. قَامَ بِحَقِّ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ الدِّينَ وَفَتَحَ الدِّيَارَ، وَذُكِرَ اللَّهُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْمَنَاهِلِ وَعَلَى التِّلَالِ، وَفِي الضَّوَاحِي وَالْبِقَاعِ. وَعِنْدَ الْخَنَا وَقُورًا، وَفِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ شَكُورًا، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ذَكُورًا، فَأَعْقَبَ اللَّهُ مَنْ يُبْغِضُهُ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الْحَسْرَةِ.

[75] "الطبقات الكبرى" (249/3)، و"فضائل الصحابة" للإمام أحمد (330). وأخرجه ابن ماجه أيضاً (103)، والطبراني (11109)، والحاكم (3/ 84)، وابن عدي في "الكامل" (4/ 1525) وإسناده ضعيف جداً.

[76] أخرج البخاري في "صحيحه" (3684): قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعُودٍ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ». وأخرج الطبراني في "الكبير" (8806): قَالَ عَبْدُ اللهِ: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً، وَاللهِ مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ». وانظر "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (200)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (47/44).

رأيهِ،[77] وهو أولُ مَن جمَع القرآن في الصُّـــحُف،[78] وأولُ مَن جمَع الناس على قِيام رمضـــانَ،[79] وكان نقشُ خاتَمِه: كفَى بالمَوتِ واعِظاً يا عُمَرُ.[80]

---

[77] عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَـــلًّى} [البقرة: 125]، وَقُلْتُ: يَا رَسُـــولَ اللهِ، إِنَّ نِسَـــاءَكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاؤُهُ فِي الْغَيْرَةِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ} [التحريم: 5]، قَالَ: فَنَزَلَتْ كَذَلِكَ. أخرجه البخاري (402) و (4916)، وابن ماجه (1009)، والترمذي (2960)، والنسائي في " الكبرى " (11611). وانظر "مسند أحمد" (157). قال السندي: وقد جاء موافقته في أسارى بدر، وترك الصلاة على المنافقين، فلعل الاقتصار على ذكر الثلاث لداعٍ إلى ذلك لا للحصر، والله تعالى أعلم.

[78] **أقول**: دلت الروايات على أن أول من أمر بجمع القرآن من الصحابة، هو أبو بكر الصديق عن مشورة من عمر بن الخطاب، وأن الذي قام بهذا الجمع هو زيد بن ثابت رضـــي الله عنهم. فقد أخرج البخاري في "صـــحيحه" (4679): «أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَـارِيَّ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ، قَالَ: أَرْسَـلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْـتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَـى أَنْ يَسْـتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَـيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُـولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَـرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَـدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلَا نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ: فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} إِلَى آخِرِهِمَا. وَكَانَتِ الصُّـــحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَـــةَ بِنْتِ عُمَرَ». وانظر "ابن حبان" (4507).

(مقتل أهل اليمامة) أيام قُتل مَن قُتِل من المسلمين، في المعركة التي كانت بينهم وبين مسيلمة الكذاب، واليمامة معدودة من نجد. (استحرَّ) اشتد وكثر. (بالقراء) أي: حفظة القرآن. (المواطن) المواضع التي سيغزو فيها المسلمون، والمعارك التي تكون بينهم وبين أعدائهم. (لا نتهمك) لا نشـــك في أمانتك وحفظك وإتقانك لكتاب الله تعالى. (فتتبع القرآن) أي: ابحثْ عن الرقاع ونحوها، مما كتِب عليه القرآن أيامَ النبي صلى الله عليه وسلم. والرقاع جمع رُقعة، وهي القطعة من وَرَق أو جلد، ونحو ذلك. (الأكتاف) جمع كتف، وهو عظم عريض يكون على أعلى الظهر. (العسب) جمع عَسيب، وهو جَريد النخل العريض. (لم أجدهما) مكتوبتين. (من أنفسكم) منكم. (عزيز) شديدٌ. (ما عنتم) مشقتكم ولقاؤكم المكروه. (حريص عليكم) على هدايتكم ونجاتكم.

[79] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي رَمَضَـــانَ إِلَى الْمَسْـــجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ. يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ. فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُرَانِي «لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ»، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَـــلُّونَ بِصَـــلَاةِ قَارِئِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ

وعن وَهبٍ: صفتُه في التَّوْرَاة: قَرْنٌ مِن حَدِيد، أميرٌ شَدِيد.[81] وفي حديثِ عائشةَ رضي الله تعالى عنها وعن أبويها: اللَّهُمَّ أعِزّ الإسلَامَ بعُمَرَ خاصّةً.[82] وفي حديثِ ابن عُمَر رضي الله تعالى عنهما:

هَذِهِ»، «وَالَّتِي تَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنِ الَّتِي تَقُومُونَ» يَعْنِي آخِرَ اللَّيْلِ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ. أخرجه مالك في "الموطأ" (279).

قلت: وفي مسلم (174) (759): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ فَيَقُولُ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ عَلَى ذَلِكَ». وأخرجه البخاري (37) و (2009)، وأحمد (7787).

[80] أخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (211)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (260/44).

قلت: وأخرج ابن الأعرابي في "معجمه" (992): كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى، وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغْلًا. وانظر "مسند الشهاب" للقضاعي (1410).

[81] أخرج ابن أبي عاصم في "الآحاد" (107): نا الْأَقْرَعُ، قَالَ: أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الْأُسْقُفِّ قَالَ: فَهُوَ يَسْأَلُهُ وَأَنَا قَائِمٌ عَلَيْهِمَا أُظِلُّهُمَا مِنَ الشَّمْسِ قَالَ: هَلْ تَجِدُنَا فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالَ: «صِفَتَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ». قَالَ: فَمَا تَجِدُنِي؟ قَالَ: «أَجِدُكَ قَرْنَ حَدِيدٍ». قَالَ: فَقَطَّبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجْهَهُ، وَقَالَ: «قَرْنٌ حَدِيدٌ أَمِيرٌ شَدِيدٌ». قَالَ: فَكَأَنَّهُ فَرِحَ بِذَلِكَ، قَالَ: فَمَا تَجِدُ بَعْدِي؟ قَالَ: «خَلِيفَةُ صِدْقٍ يُؤْثِرُ قَرَابَتَهُ». قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفَّانَ». قَالَ: فَمَا تَجِدُ بَعْدَهُ قَالَ: «صَدْعٌ شَدِيدٌ». قَالَ: وَفِي يَدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيْءٌ يُقَلِّبُهُ قَالَ: فَنَبَذَهُ وَقَالَ: «يَا ذِفْرَاهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ: فَقَالَ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةٌ مُسْلِمٌ أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْلَفُ، وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ وَالدَّمُ مُهْرَاقٌ. قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ».

وأخرج أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (187): عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: «صِفَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي التَّوْرَاةِ: قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَمِيرٌ شَدِيدٌ».

[82] أخرج ابن سعد مرسلاً عن الحسن (276/3): «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ»، وأخرج أحمد في "فضائل الصحابة" (338) بلفظ: "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب". وأخرج أحمد في "المسند" (4362) من حديث ابن مسعود: " اللهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ". وتمامه: قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَضَلَ النَّاسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَرْبَعٍ: بِذِكْرِ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: 68]، وَبِذِكْرِهِ الْحِجَابَ، أَمَرَ نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَقَالَتْ لَهُ زَيْنَبُ: وَإِنَّكَ عَلَيْنَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْنَا فِي بُيُوتِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب: 53] وَبِدَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ: "اللهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ"، وَبِرَأْيِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ، كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ بَايَعَهُ. وهو حسن لغيره.

اللَّهُم أعِزّ الإســـلام بأحبِّ الرَّجُلين إليكَ: بعُمَر أو بأبي جَهل، فكان أحبَّهما إلى الله تعالى عُمَرُ.[83] لكن عليه كلَام عند أهل الحديث.[84]

وفي حديث عُقبَة بنِ عامرٍ: لو كان بعدِي نبيٌّ لكانَ عمرُ بنُ الخطَّاب.[85] وفي حديث أنس: أشـــدُّ أمّتي في أمْر الله تعالى: عُمَرُ.[86] وعن عُمَر رضـي الله تعالى عنه: اسـتأذنْتُ رسـولَ الله صـلى الله تعالى عليه وسـلم في العُمرة، فأَذِنَ لي، وقال: «لا تَنْسَـانا يا أُخَي مِن دُعائك» أو قال: «أَشْرِكْنَا يا أُخَي»، قال عُمَر: فقال كلمةً ما يَسُـرّني أنَّ لي بها الدنيا.[87] وقال ابنُ مسـعود رضـي الله تعالى عنه: والله إني لأَحسِـب لو وُضِـع عِلْمُ عُمَر في كَفَّةِ الميزان؛ لَرَجَح عِلم عُمَرَ على عِلم أحياءِ سـائرِ أهل الأرض!! وقال: إني لأحسِبُ حينَ ذهَب؛ قد ذَهَب بتِسعَةِ أعشَارِ العِلم.[88]

---

[83] أخرجه الترمذي (3681) و(3683)، وأحمد (5696)، وابن حبان (6881) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَـنٌ صَـحِيحٌ، غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

[84] لأن في سنده: خارجة بن عبد الله الأنصاري، ضعَّفه أحمد والدارقطني والذهبي، وقال ابن مَعِين وابنُ عدي: لا بأس به، وقال أبو داود وأبو حاتم: شيخ، زاد أبو حاتم: حديثه صالح، وقال أبو الفتح الأزدي: اختلفوا فيه، ولا بأس به، وحديثه مقبول، كثير المنكر، وهو إلى الصدق أقرب، وقال الحافظ في "التقريب" (1611): صدوق له أوهام، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

قلت: قال السيوطي في "الدرر المنتثرة" (32): وقد اشتُهر هذا الحديث الآن على الألسنة بلفظ: "بِأَحَبِّ الْعُمَرَيْنِ" ولا أصل له في شيء من طريق الحديث بعد الفحص البالغ، انتهى. قال العجلوني في "كشف الخفاء" (209/1): يعني: بهذا اللفظ، وإلا فمعناه ثابت كما عُلِم مما تقدَّمَ.

[85] أخرجه أحمد (17405)، والترمذي (3686)، والطبراني في "الكبير" (822) وإسناده حسن.

قلت: وأخرج أحمد (5868)، والبخاري (7032)، ومسلم (2391) مِن حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ". قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الْعِلْمُ ". قال السندي: هذا حديث صحيح، وهو يؤيد حديث: "لو كان بعدي نبي لكان عُمَرُ"- رواه الترمذي وأحمد والحاكم وصححه، لدلالته على أنَّ عِلمه مِن علوم النُّبوة، وكأنه لهذا كثُرَ عليه التوفيق للصواب، والله تعالى أعلم.

[86] أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (291/3). وأخرج أحمد (12904): عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَقْرَؤُهَا لِكِتَابِ اللهِ أُبَيٌّ، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ". وأخرجه ابن ماجه (155) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

[87] أخرجه أبو داود (1498)، وأحمد (195)، وابن ماجه (2894)، والترمذي (3562)، والبزار (120) وقال الترمذي: حسن صحيح.

[88] أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (336/2)، وابن عساكر في "تاريخه" (283/44)، والطبراني في "الكبير" (8808)، وزهير بن حرب في "العلم" (61)، والدارمي (367) وإسناده ضعيف.

وقال طلحة: هو أزهدُنا في الدنيا، وأرغَبُنا في الآخرة.[89]

وقال ثابت: أتي عمرُ بإناءٍ من عَسَـــل، فوَضَـــعه على كفّه فقالَ: أَشـــرَبُها فتَذْهَبُ حَلَاوَتُها وتبقَى نِقْمَتُها. قالها ثلاثاً، ثم دَفَعَها إلى رجلٍ مِن القوم فشَرِبَها.[90]

وقال ابنُ البَـرَاء: إنَّ عُمَر خرَج يوماً حتى أتَى الـمِنْبَر، واشتَكَى شكوَى، فنُعِتَ له العسلُ، وفي بيت المالِ عُكَّةٌ، فقال: إنْ أَذِنْتُم أخذْتُها، وإلَّا فإنَّها عليَّ حَرامٌ، فأَذِنُوا له.[91]

وقال أبو حازم: دخَل عمرُ على حَفصَـةَ، فقدَّمَت إليهِ مَرَقاً بارِداً، وصَـبَّتْ في الـــمَرَقةِ زَيتاً، فقال: إدَامَان في إناءٍ واحدٍ، لا أذوقُها حتى ألقَى اللهَ تعالى.[92]

وعن أنسٍ: رأيتُ بين كَتِفَيْ عُمرَ أربعَ رِقَاع في قميصٍ له، وخَطَب الناسَ وهو خليفةٌ وعليه إزارٌ فيه اِثنتا عَشْرة رُقعَةً.[93]

وقال طارقٌ: حينَ قُدوم عمرَ بالشَّام لَقِيَه الجُنودُ، وعليه إزارٌ وخُفَّانِ وعِمَامةٌ، وهو آخِذٌ برأس رَاحلتهِ يَخوضُ الماءَ، وقد خَلَع خُفَّيهِ، وجعَلَهما تحتَ إبْطَيْهِ، قالوا له: الآنَ يَلْقَاكَ الـــجُنودُ [وبَطَارقةُ الشَّامِ]، قال: إنَّا قومٌ أعَزَّنا اللهُ تعالى بالإسلام، فلن نَلْتَمِس العِزَّة بغَيره.

وفي روايةٍ قالَ: إنَّكم أذلُّ الناس، فأعَزَّكم اللهُ تعالى بالإســـلام، فمَهْمَا تطلُبون العِزّة بغيره يُذِلُّكم اللهُ تعالى.[94]

---

[89] قول طلحة بن عُبيد الله في "تاريخ دمشق" لابن عساكر (287/44)، وأخرج هشام بن عمار في "حديثه" (130): أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا كَانَ عُمَرُ بِأَقْدَمَ مِنَّا إِسْـلَامًا، وَلَا بِأَفْضَـلِنَا هِجْرَةً، وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِأَيِّ شَـيْءٍ فَضَـلَنَا: كَانَ أَزْهَدَنَا فِي الدُّنْيَا».

[90] أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (618)، وابن أبي الدنيا في "الجوع" (32)، وابن عساكر في "التاريخ" (295/44).

[91] ابن سعد في "الطبقات" (276/3). العُكّة بالضم: آنية السَّمْن أصغرُ مِن القِربة.

[92] أورده النووي في "تهذيب الأسماء" (6/2).

[93] قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: " رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ رَقَّعَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ أُرَاهُ أَرْبَعَ رِقَاعٍ بَعْضُـــهَا فَوْقَ بَعْضٍ. أخرجه أبو داود في "الزهد" (56)، وهناد في "الزهد" (367/2). وفي "الزهد" لابن المبارك (964): عَنِ الْحَسَـــنِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ «كَانَ فِي إِزَارِهِ اثْنَتَا عَشْـرَةَ رُقْعَةً، بَعْضُـهَا مِنْ أَدَمٍ». وفي طبقات ابن سـعد (328/3): عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: «رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَلَيْهِ إِزَارٌ فِيهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ رُقْعَةً إِحْدَاهُنَّ بِأَدِيمٍ أَحْمَرَ».

[94] طارق هو: ابن شِهابٍ، الكوفي، البجلي الأحمسي، أبو عبد الله. من الغزاة، أدركَ النبيَّ صلّى الله عليه وسلم وغزَا في خِلَافة أبي بكر وعُمَر، ثلاثاً وثلاثين غزوة، وسكن الكوفة. وله في صحيحي البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة أحاديث، عن الصحابة، منها ما هو عن الخلفاء الأربعة. مات سنة (اثنتين ـــ أو ثلاث ـــ وثمانين). والأثر عند أبي بكر الدينوري في "المجالسة" (418)،

وعن جعفرٍ أنَّ عُمَرَ خرَج مع عبدِ الرحمن بنِ عَوف في ليلةٍ لحاجةٍ، فسَمِعَ مِن دار رجلٍ قراءةَ القرآن في صلاةٍ، فوقَف فسَمِع، فإذا بلَغ في سورة (والطور): {إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع} [8]؛ استَنَد إلى حائطٍ، فمَكَث مَليًّا، فقال عبد الرحمن: امضِ لحاجتِكَ، فقال: ما أنا بفاعلٍ الليلةَ إذْ سمعتُ ما سمعتُ، فرجَع إلى مَنزلِهِ، فمَرِضَ شهراً!! يعودُه الناسُ لا يَدْرُون ما مرضُه!![95]

وعن ابن عُمَر: أنَّ عُمرَ حمَل قِربة على عُنقه، فقِيل: ما حَمَلك على هذا؟ قال: نفسِي أعجبَتْني فأردتُ أنْ أُذِلّها.[96]

وعن قتادةَ: اشترَتْ امرأةُ عُمَر عِطراً بدِينار، فأَهْدَت إلى امرأةِ مَلِك الرُّوم، فَلَمَّا أَتَاها قبلت امرأةُ الملك بجواهرَ أهدَت إلى امرأة عُمَر، فلمَّا رآه عُمَرُ باعَه، ودفَع دِيناراً إلى امرأتهِ، وجعَلَ زيادتَه في بيت المال.[97]

وعن عَمْرو بنِ العَاص: إني في مصرَ سمعتُ قُدُوم ابنَيْ عمرَ: عبدُ الله وعبدُ الرحمن رضي الله تعالى عنهم، ولم أَقدِر أن أُهدِي لهما، ولا زيارتَهما؛ خَوفاً مِن أبيهما لسَبْقِ تَنبيهٍ منه، فإذَا عبدُ الرحمن مع أبي سِرْوَعة دَخَلا [وهما] مُنْكَسِران قائلينِ: أقِمْ عَلَينا حدَّ اللهِ لِمَا شَرِبنا شَرَاباً، فسَكِرنا. فطردْتُهما، فقال عبدُ الرحمن: إن لم تفعل أُخبِر أبي، قال عَمرو: وإني إنْ لم أقِم الحدَّ أعلَمُ غَضَبَ عمرَ، فإذا دخَل عبدُ الله بن عُمَر، وأردتُ أُجلِسه على صدْر مَجلسِي، فأبَى وقال: إنَّ أبي نَهَاني أن أدخُل عليكَ إلا بضرورةٍ، إنَّ أخي هذَا اصنَع مَا بدَا لكَ، فأخرجتُهما إلى صحنِ الدار، فأقمْتُهما الحدَّ، فوالله ما كتبتُ إلى عُمَر بشيء، حتى إذا تَحَيَّنْتُ كتابَه، إذْ هو ينظُم فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدِ الله عُمر

وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في "المصنف" (34444)، وهناد في "الزهد" (417/2)، والحاكم في "المستدرك" (130/1) وصححه بعض أهل العلم كما في "الصحيحة" (118/1).

[95] "تاريخ دمشق" لابن عساكر (308/44).

[96] أخرجه الدينوري في "المجالسة" (417)، وابن عساكر في "تاريخه" (318/44). وأورده الذهبي في "سير أعلام.." (410/2).

[97] أخرجه الدينوري في "المجالسة" (215) بأتمَّ مما هنا، وهو: قَالَ سَلَمَةُ بْنُ هَزَّالٍ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ: قَالَ مَالِكُ الدَّارِ: قَدِمَ بَرِيدُ مَلِكِ الرُّومِ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَاسْتَقْرَضَتِ امْرَأَةُ عُمَرَ دِينَارًا، فَاشْتَرَتْ بِهِ عِطْرًا، وَجَعَلَتْهُ فِي قَوَارِيرَ، وَبَعَثَتْ بِهِ مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى امْرَأَةِ مَلِكِ الرُّومِ، فَلَمَّا أَتَاهَا؛ فَرَّغَتْهُنَّ وَمَلَأَتْهُنَّ جَوَاهِرَ، وقالت: اذهَبْ بِهِ إِلَى امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَلَمَّا أَتَاهَا فَرَّغَتْهُنَّ عَلَى الْبُسَاطِ، فَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَأَخْبَرَتْهُ بِالْخَبَرِ، فَأَخَذَ عُمَرُ الْجَوَاهِرَ، وَبَاعَهُ، وَدَفَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ دِينَارًا، وَجَعَلَ مَا بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَالِكِيُّ: مَالِكُ الدَّارِ هَذَا هُوَ: مَالِكُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ، وَسُمِّيَ مَالِكَ الدَّارِ، لِأَنَّ عُمَرَ وَلَّاهُ دَارَ الصَّدَقَةِ. وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور في "سننه" (2477).

أمير المؤمنين إلى العاصي ابنِ العاصي، عَجِبتُ لكَ يا ابنَ العاصي لـــجَرَاءَتِك عليّ وخلافَ عَهدي، أمَا إني خالفْتُ فيكَ أصحابَ بدرٍ، فمَن هو خير منك، واخترتُكَ بجراءتك عني وإنفاذ عهدي، فأراك تلوَّثْتَ بما قد تلوَّثْتَ، فما رآني إلا عزلُك، تَضرِب عبدَ الرحمن في بيتك، وهذا يخالفني، إنما عبدُ الرحمن رجلٌ من رعيَّتِك، لِـــمَ لا تصنَع به ما تصنَع بغيره؟ ولكن قد قلتَ: هو ولدُ أمير المؤمنين، وقد عرفْتَ أنْ لا ميلَ لأحدٍ عندي في حقٍّ يجبُ لله عليه، فإذا جاءَك كتابي فابعَث به في عَبَاءة على قَتَبٍ حتى يَعرِف سُـــوءَ ما صـــنَعَ. فبعثتُ كما قالَه أبوه، وكتبتُ إلى عمر كتاباً أعتَذِر فيه أني أُقِيمُ الحدودَ على الذميّ والمسلم في صَحن دَاري.

قال أسلَمُ: فقَدِمَ عبدُ الرحمن على أبيه، فدَخَل وعليهِ عباءةٌ، ولا يَستطيعُ المشيَ من مَركَبِه، فقال: يا عبدَ الرحمن، فعلتَ وفعلتِ السِّـــيَاط، فكلَّمه عبدُ الرحمن بنُ عوف: قد أُقِيمَ عليه الحدُّ مرةً، فما عليه أن تقيمه ثانيةً، فلم يَلتفتْ، وزَجَره، ويَصيح عبد الرحمن: إني مَريضٌ، وأنت قاتلي، فضَرَبه الحدَّ وحبَسَه فمَرِض فمات!!![98]

---

[98] عن أسـلمَ قال: سمعتُ عمرَو بن العاص يومًا ذَكرَ عمرَ فترحَّم عليه، ثم قال: ما رأَيتُ أحدًا بعد نبي الله صـلى الله عليه وسـلم وأبي بكر أخوفَ لله من عمرَ؛ لا يبالي على من وقعَ الحقُّ، على ولدٍ أو والد، ثم قال: واللهِ إنِّي لفي منزلي ضـحًى بمصـرَ، إذا أتاني آتٍ فقال: قدِم عبد الله وعبد الرحمنِ ابنا عُمر غَازِيَيْن، فقلتُ للذي أخبرني: أين نزلا؟ فقال: في موضع كذا وكذا -لأقصَى مصرَ- وقد كتب إليّ عمر: إياكَ أن يقدُم عليك أحدٌ من أهل بيتي فَتَحْبُوَهُ بأمرٍ لا تصنَعُه بغيره، فأفعلُ بك ما أنتَ أهلُه. فأنا لا أستطيعُ أن أُهدِي لهما، ولا آتيهما في منزلهما؛ خوفًا مِن أبيهما، فواللهِ إنِّي لعلَى ما أَنَا عليه، إلى أن قال قائلٌ: هذا عبدُ الرحمن بن عمر، وأَبو سِرْوَعة على الباب يَستأذنان، فقلتُ: يدخلان، فدَخَلا وهما منكسران وقالا: أقِم علينا حدَّ اللهِ؛ فإنا قد أَصَبْنا البارحة شَراباً، فسَـكِرنا، فزَبَرْتُهما وطَرَدْتُهما، فقال عبد الرحمن: إنْ لم تفعَلْ أخبرتُ أَبي إذا قدِمتُ عليه، فحضـرني، وعلمتُ إن لم أُقِمْ عليهما الحدَّ غَضِـب عليّ عمرُ في ذلك وعَزَلني، وخالفه ما صـنعتُ، فنحن على ما نحن عليه، إذا دخل عبدُ اللهِ بن عُمَر، فقُمت إليه ورحَّبْت به، وأردتُ أن أُجْلِسَه على صدر مجلسي، فأبَى عليّ وقال: إنَّ أَبي نهاني أن أدخُل عليكَ إلا أنْ لا أجدَ بُدًّا، وإني لم أجد بُدًّا مِن الدخول عليكَ، إنَّ أخي لا يُخْلَقُ على رؤوس الناس أبداً، فأمَّا الضـــربُ فاصـــنَع ما بدَا لكَ، قال: وكانوا يَحلِقون مع الحدِّ، قال: فأخرجْتُهما إلى صـــحن الدار، فضـــربتُهما الحدَّ، ودخَلَ ابن عُمَر بأخيه عبدِ الرحمن إلى بيتٍ من الدار، فحلَقَ رأسَـــه، ورأسَ أَبي سِرْوَعة، فواللهِ ما كتبتُ إلى عمرَ بحرفٍ مما كان، حتى إذا تحيَّنْتُ كتابي، فإذا هو نظم فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْد اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْعَاصِـي ابْنِ الْعَاصِـي، فَعَجِبْتُ لَكَ يَا ابْنَ العَاصِـي وَلِجُرْأَتِكَ عَلَيّ وَخِلَافِ عَهْدِي! أَمَا إِنِّي قَدْ خَالَفْتُ فِيكَ أَصْـــحَابَ بَدْر مِمَّنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَاخْتَرْتُكَ لِجُرْأَتِكَ عَيّي، وَإِنْفَاذِ عَهْدِي، فَأَرَاكَ تَلَوَّثْتَ بِمَا قَدْ تَلَوَّثْتَ، فَمَا أُرَانِي إِلَّا عَازِلَكَ (وَمَنْشَى) عَزْلِكَ: تَضْرِبُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عُمَرَ فِي بَيْتِكَ، وَتَخْلِقُ رَأْسَهُ فِي بَيْتِكَ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا يُخَالِفُنِي؟! إِنَّمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَجُلٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ تَصْـنَعُ بِهِ مَا تَصْـنَعُ بِغَيْرِه مِنَ المسْـلِمِينَ، وَلَكِنْ قُلْتَ: هُوَ وَلَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنْ لَا هَوَادَةَ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدِي فِي حَقٍّ يَجِبُ لله عَلَيْهِ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثْ بِهِ فِي عَبَاءَةٍ عَلَى قَتَبٍ حَتَّى يَعْرِفَ سُـوءَ مَا صَـنَعَ، فبَعثتُ بِهِ كما قال

قال الأحنَفُ بن قَيسٍ: في يوم من الأيام قال أصحابُ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: هل تَرونَ إلى زُهْدِ هذا الرجل، فَتَحَ الله تعالى علينا دِيَار كِسرَى وقَيصر، وطَرَفَيْ المشرق والمغرب، ووُفودُ العرَب والعَجَم يأتُونه، فيَرَون عليه هذه الجبَّةَ التي فيها اثنتا عَشْرَة رُقعَةً، فاسألوا له جبَّةً يُهابُ فيه مَنظرُه، ويُغدَى عليه بجَفنةٍ مِن الطعام بمَحْضَر المهاجرين والأنصار، فقالوا: ليس لهذا القولِ إلا عليُّ بنُ أبي طالب، فكلّموا عليًّا فامتَنَع، وأشار إلى أمَّهَات المؤمنين، فسَأَلُوا عائشةَ وحفصةَ رضي الله تعالى عنهما، فدَخَلَتا عليه واستأذنَتْ عائشةُ بالكَلَام فأَذِنَ، فقالت: فتَحَ اللهُ تعالى على يَدَيك كنوزَ كِسرَى وقَيصَر ودِيارَهما، ودانَت لكَ طَرَفا المَشرق والمَغرب، نرجو مِن الله تعالى المزيدَ، وبالإسلام التأييدَ، ورسلُ العَجَم يَأتونَكَ ووفودُ العرب يَرَونَ عليك هذه الجُبَّة، فلو غَيَّرْتَ بما يُهاب فيه المنظرُ، ويغدَى عليه بجفنةٍ من الطعام، ويراح عليك بجفنةٍ تأكُل مع المهاجرين والأنصار، فبكى عمرُ رضي الله تعالى عنه بكاءً شديداً، ثم قال: هل تعلمين أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم شَبِعَ مِن خُبزِ بُرٍّ عَشَرةَ أيامٍ أو ثلاثةً، أو جمَعَ بين العَشَاء والغَدَاء حتى لَحِقَ الله تعالى؟ فقالَت: لا، فأقبَلَ على عائشة فقال: هل تعلمين أنَّ رسولَ الله قُرِّبَ إليه طعامٌ على مائدةٍ في ارتفاعِ شِبْرٍ؟ كان يأمُر بالطعام فيوضَع على الأرض؟ قالت: نعم، فقال لهما: أنتُمَا زوجتَا رسولِ الله، ولكن على المؤمنين حقٌّ وعليَّ خاصةً، ولكن أتيتُماني تُرَغّباني في الدنيا، وإني لأعلَمُ أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم لَبِسَ جبَّةً مِن الصوف، ورُبَّما حَكَّ جِلدَه من خُشونتها، أتعلمان ذلك؟ قالتا: نعم، قال: هل تعلمين أن رسولَ الله

أبوهُ، وأقرأتُ ابنَ عُمَر كتابَ أبيه، وكتبتُ إلى عُمرَ كتابًا أَعتذر فيه، وأخبره أني ضَرَبْتُه في صحنِ داري، وبِاللَّه الذي لا يُحْلَفُ بأعظمَ مِنْهُ، إِنِّي لأقيمُ الحدودَ في صحن داري على الذِّمِّيِّ وَالْمُسْلِمِ، وبعثتُ بالكتاب مع عبد الله بن عمرَ.

قال أسلم: فقُدِمَ بعبد الرحمن على أبيه، فدخَل عليه وعليه عَبَاءة، ولا يستطيع المشي من مَرَكَبِهِ، فقال: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَعَلتَ وفَعَلَتِ السِّيَاطُ، فكلَّمَه عبد الرحمن بن عوف، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أُقيم عليه الحدُّ مرةً، فما عليه أن تُقِيمه ثانيةً، فلم يَلتَفِت إلى هذا عمرُ وزبَرَه، فجعَل عبد الرحمن يَصيح: إني مريضٌ وأنتَ قاتلي، فضرَبَه الثانية الحدَّ وحَبَسَه، ثم مرِضَ فماتَ"!!! أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (72/5)، وابن عساكر (327/44).

قلت: ورواية عبد الرزاق في "المصنف" (17047) في آخرها: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ جَلَدَهُ، وَعَاقَبَهُ لِمَكَانِهِ مِنْهُ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ فَلَبِثَ شَهْرًا صَحِيحًا، ثُمَّ أَصَابَهُ قَدَرُهُ، فَمَاتَ، فَيَحْسِبُ عَامَّةُ النَّاسِ أَنَّمَا مَاتَ مِنْ جَلْدِ عُمَرَ، وَلَمْ يَمُتْ مِنْ جَلْدِ عَمْرو. وقال ابن عبد البر في "الاستيعاب" (842/2): وعبدُ الرحمن بن عُمر الأوسط، هو أبو شحمة، هو الذي ضربه عَمرو بن العاص بمصر في الخمر، ثم حمله إلى المدينة، فضربه أبوه أدب الوالد، ثم مَرِض ومات بعد شهر، هكذا يرويه معمر عن الزهري، عن سالم، عن أبيه. وأمَّا أهل العراق فيقولون: إنه مات تحت سياط عُمَر، وذلك غلط.

قال ابن حجر في "الإصابة" (35/5): وقد أخرج عبد الرزاق القصة مطولة عن مَعْمَر بالسندِ المذكور، وهو صحيح.

صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقُد على عَبَاءَته على طاقةٍ واحدة، وكان مُسَجَّى في بيتِكِ يا عائشةُ يكون بالنهار بِسَاطاً، وبالليل فِرَاشاً، فندخُل عليه، فنَرَى أثرَ الـــحَصِير على جَنبه،[99] ألَا يا حفصةُ، أنتِ حدِّثْتِني أنكِ ثنَيْتِ المسجَّى له ذاتَ ليلةٍ، فوَجَد لِينها، فرَقَد عليه، فلم يَستيقظ إلا بأَذَانِ بلال، فقالَ لكِ: يا حفصةُ، ماذَا صنَعْتِ؟ أَثْنَيتِي الـــمِهَاد ليلَتي حتى ذهَب بي النومُ إلى الصباح!! ما لي وللدنيا، وما للدُّنيا وَلِي، شَغَلْتُموني بلِين الفراش يا حفصةُ، أمَا تعلمين أنَّ رسولَ الله كان مغفوراً له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأخَّر، أمسَى جائعاً، ورَقَد ساجداً، ولم يزَلْ راكعاً وساجِداً وباكياً متضرِّعاً إلى أنْ قبَضَه اللهُ تعالى، لا أكلَ عُمَرُ طِيباً، ولا لَبِسَ لِيناً، وله أسوةٌ بصاحِبَيهِ، ولا جمَعَ بين أدمين إلَّا الملح والزيت، ولا أكَلَ لحماً إلا في كلِّ شـــهرٍ حتى ينقضـــيَ ما انقضـــى من القوم. فخَرَجتا فخَبَّرَتا بذلك أصحابَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلم يَزَل كذلك حتى لحق بالله تعالى.[100]

وقال أســـلمُ: إنَّ عُمر طاف ليلةً، فإذا هو بامرأةٍ في دارٍ وحولها صِـــبيان يَبكون، وإذَا قِدْرٌ على النار يَغلي بالماء، فسَـأل عن بُكاء الصِّـبيان؟ فقالت: للجُوع، فسـأل عن الماء؟ فأجابَت: لِـــأُوْهِمَ مَرَقَةً وأعلِّلَهم بهِ، فبَكَى عُمر، ثم جاءَ إلى دار الصَّدَقة، فجَعَل في غِرَارةٍ[101] طعاماً ولباساً ودَرَاهم، فقال: يا أسـلَمُ، احمِل عليَّ!! فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أنا أحمِلُه عنكَ، فامتَنَعَ، فقال: إني أنا الـــمَسـؤُول في الآخرةِ، فحمَله على عُنُقه، فجاءَ مَنزِلَ الـــمَرأة، وجعَل في القِدر دَقِيقاً وشَحْماً وتَـــمْراً، وحرَّكه بيدِهِ، وينفُخُ تحتَ القِدْر، وكانت لِـــحيتُه عظيمة يخرُج الدخانُ من خلال لحيته، طبَخَ لهم فأطعَمَهم بيده، فخرَج، فتوقَّف فاطلَعَ ضَحِكَ الصِّبيانِ وسرورَهم فقال: الآنَ طابتْ نفسِي.[102]

---

[99] تأثير الحصير في جنب رسول الله... حديثٌ مشهور، أخرجه البخاري مطولاً (4913)، ومسلم (1479) من حديث عمر، وفيه: ... فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ».

[100] "ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (293/44)، وأبو العباس الطبري في "الرياض النضرة" (369/2).

[101] غِرارة: جمعها: غرائر، وعاء (كيس) من صوف أو خيط، أو خيش توضع فيه الحبوب وغيرها.

[102] أخرجه ابن عســاكر في "تاريخه" (352/44)، والدينوري في "المجالســة" (216) وفيه: ثُمَّ خَرَجَ وَرَبَضَ بِحِذَائِهِمْ كَأَنَّهُ سَـبُعٌ، وَخِفْتُ مِنْهُ أَنْ أُكَلِّمَهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى لَعِبُوا وَضَحِكُوا (الصِّبْيَانُ). ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ! تَدْرِي لِمَ ربضْتُ بحذائهم؟ قُلْتُ: لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: رَأَيْتُهُمْ يَبْكُونَ؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أَذْهَبَ وَأَدَعَهُمْ حَتَّى أَرَاهُمْ يَضْحَكُونَ، فَلَمَّا ضَحِكُوا؛ طَابَتْ نَفْسِي!!

وقال الحسَـن: دخل عُمَرُ على ابنه عاصـمٍ وهو يأكُلُ لحماً، فقال: كفَى بالمرءِ سَـرَفاً أن يأكلَ كلَّ مَا اشـتَهَى.[103] وقال عبدُ الله بنُ عامر: رأيتُ عُمَر أخَذ تِبْنَةً من الأرض فقال: ليتني هذهِ التِّبْنَة، ليتني لم أكُ شيئاً، ليتَ أمّي لم تَلِدْني، ليتَني كنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً.[104]

ويقولُ في خُطبته: أيُّها الناسُ، تَعْلَمُون أنَّ الطمَع فقرٌ، وأنَّ اليأس غِنًى، وأنَّ المرء إذَا يَئِس من الشـيء استَغنى عنه.[105]

وعن علي بن زَيد: كان رأسُـه على الوِسَـادة حين طُعِن فقال: لا تُعزِّني، خُذ رأسـي على الوِسـادة، فضَعْه في التراب، لعلّ الله تعالى ينظُر إليَّ فيَرْحَمَني، والله لو أن لي ما طلعَت عليه الشمس لافتدَيْتُ به مِن هَول المطلَع.[106] ورُوي عنه صـلى الله تعالى عليه وسـلم أنه قالَ: «عُمَرُ معي وأنا مع عُمَرَ، والحقُّ بعدِي مع عُمَر حيث كان».[107]

قال سعدُ بن أبي وقَّاص: طُعِن عمرُ يومَ الأربعاء مِن آخِر ذي الـحِجَّة سنةَ ثلاثٍ وعشرين، ودُفِن يومَ الأحد صَبِيحةَ هِلَال الـمحرَّم، فقيل: ابنُ ستٍّ وستين، وقيل: ابنُ ثلاثٍ وستين، وقيل: ابنُ ستٍّ وخمسين. وصلَّى عليه صُهَيب، ودُفِن جَنْب أبي بكرٍ رضي الله تعالى عنهما. ونَاحَتْ عليهِ الـجِنُّ.[108]

---

[103] أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (769)، وأحمد بن حنبل في "الزهد" (651)، وابن أبي الدنيا في "الجوع" (190) وفي بعض ألفاظه: دَخَلَ عُمَرُ عَلَى ابْنِهِ وَعِنْدَهُ لَحْمٌ غَرِيضٌ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، قَالَ: قَرِمْنَا إِلَى اللَّحْمِ فَاشْـتَرَيْنَا مِنْهُ بِدِرْهَمٍ، قَالَ: «أَوْ كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ اللَّحْمَ اشْتَرَيْتَهُ؟ كَفَى بِالْمَرْءِ سَرَفًا أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَى».

[104] أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (234)، وابن سعد في "الطبقات" (274/3)، وابن أبي الدنيا في "المتمنين" (12).

[105] أخرجه وكيع في "الزهد" (182)، وابن شبة في "تاريخ المدينة" (767/2).

[106] عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، بِالْبَصْرَةِ، قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَتَى عُمَرَ حِينَ طُعِنَ، فَقَالَ: احْفَظْ عَنِّي ثَلاثًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يُدْرِكَنِي النَّاسُ: أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَقْضِ فِي الْكَلالَةِ قَضَـاءً، وَلَمْ أَسْـتَخْلِفْ عَلَى النَّاسِ خَلِيفَةً، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ عَتِيقٌ. فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: اسْـتَخْلِفْ. فَقَالَ: أَيَّ ذَلِكَ أَفْعَلُ فَقَدْ فَعَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، إِنْ أَدَعْ إِلَى النَّاسِ أَمْرَهُمْ، فَقَدْ تَرَكَهُ نَبِيُّ اللهِ عَلَيْهِ الصَّـلاةُ وَالسَّلامُ، وَإِنْ أَسْتَخْلِفْ، فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي: أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ لَهُ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، صَاحَبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطَلْتَ صُحْبَتَهُ، وَوُلِّيتَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَوِيتَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ. فَقَالَ: أَمَّا تَبْشِيرُكَ إِيَّايَ بِالْجَنَّةِ، فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ لِي – قَالَ عَفَّانُ: فَلا وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْ أَنَّ لِي – الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ مَا أَمَامِي قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ الْخَبَرَ، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافًا، لَا لِي وَلا عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُـحْبَةِ نَبِيِّ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ فَذَلِكَ. أخرجه أحمد في "مسنده" (322)، وابن سعد في "الطبقات" (353/3) وإسناده صحيح.

[107] منكر لا يصح، أورده الذهبي في "ميزان الاعتدال" (382/3)، وابن حجر في "اللسان" (468/4).

[108] في "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" لتقي الدين الفاسي (335/5): وناحت عليه الجنّ، قبل أن يقتل بثلاث.

ولنكتفِ بهذا القَدْر، فلَولا خَشيةُ الملال؛ لأَكثرْتُ ذِكره[109] رضي الله تعالى عنه؛ استِجلاباً لرحمةِ أرحَم الراحمين، فإنَّ الرحمة تنزِل عندَ ذِكر الصالحين،[110] اللَّهُمّ أَلْحِقْنا بزُمْرَتهم، واستَعمِلْنا بسُنَّتِهم.

[عثمان بن عفان]

ثم (عُثمانُ ذِي النُّورين)[111] لأنَّ النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم زوَّجَه رُقيّة، ولـــمَّا ماتَت زوّجَه أمَّ كُلْثُوم، ولـمَّا ماتَت قال: «لو كان عندِي ثالثةٌ لزوَّجْتُكَهَا».[112]

هو عُثمان بنُ عفانَ بنِ أبي العاص بنِ أميَّة، وأمُّه: أَرْوَى بنتُ كُرَيز مسلمةٌ، وإسلامُه قديمٌ قبلَ دخوله دارَ الأرقم، وهاجَر إلى الـحَبشةِ الـهِجرتين، ولـمَّا خرَج رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بَدر خَلَفَه على ابنتهِ رقيَّة، وكانت مَريضَةً، وضرَب له بسَهم وأَجَّرَه.[113] **ونَقْشُ خاتَمه:** آمنتُ بالله مخلِصاً،

---

[109] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ عُمَرَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ ذَكَرْتُمُ الْعَدْلَ، وَإِنْ ذَكَرْتُمُ الْعَدْلَ ذَكَرْتُمُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. أخرجه ابن عساكر في "تاريخه" (380/44)، وأورده ابن الأثير في "أسد الغابة" (ت 1226).

[110] عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ. قاله محمد بن النضر الحارثي، كما عند اللالكائي في "كرامات الأولياء" (45)، وقاله سفيان بن عيينة كما في "الزهد" لأحمد بن حنبل (264).

[111] وفي حديث ابن عباس عند الطبراني في "الكبير" (10589): ... قَالَ مُعَاوِيَةُ لابنِ عبَّاسٍ: فَمَا تَقُولُ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ؟ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَمْرٍو: كَانَ وَاللَّهِ أَكْرَمَ الْحَفَدَةِ، وَأَوْصَلَ الْبَرَرَةِ، وَأَصْبَرَ الْغُزَاةِ. هَجَّادًا بِالْأَسْحَارِ، كَثِيرَ الدُّمُوعِ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ، دَائِمَ الْفِكْرِ فِيمَا يَعْنِيهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، نَاهِضًا إِلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ، يَسْعَى إِلَى كُلِّ مَنْجَبَةٍ، فَرَّارًا مِنْ كُلِّ مُوبِقَةٍ. وَصَاحِبَ الْجَيْشِ وَالْبِئْرِ، وَخَتَنَ الْمُصْطَفَى عَلَى ابْنَتَيْهِ، فَأَعْقَبَ اللَّهُ مَنْ سَبَّهُ النَّدَامَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[112] أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (53/3)، وأورده ابن الجوزي في "كشف المشكل" (58/1)، وفي "صفة الصفوة" (111/1). تزوجَ عُثْمَانُ رقيَّةَ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، فَمَاتَ، وَاشْتَكَتْ رُقَيَّةُ الْمَرَضَ الَّذِي تُوُفِّيَتْ فِيهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرٍ، وَلِذَاكَ تَخَلَّفَ عُثْمَانُ عَن بَدْرٍ فَهَلَكَتْ رُقَيَّةُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ. ثم تزوج أمَّ كلثوم رضي الله عنهما بعدَ رُقَيَّة بالمدينةِ سنةَ ثلاثٍ، وماتت عندَه سنةَ تِسع ولم تَلِد له.

[113] أخرج أبو داود (2726): عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ - يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ - فَقَالَ: «إِنَّ عُثْمَانَ انْطَلَقَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَإِنِّي أُبَايِعُ لَهُ». فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ، وَلَمْ يَضْرِبْ لِأَحَدٍ غَابَ غَيْرُهُ. قال الخطَّابي: هذا خاصٌّ لعثمان رضي الله عنه. لأنه كان مُمرِّض ابنة رسول الله صلَّى الله عليه وسلم. وهو معنى قوله: "حاجة الله وحاجة رسوله" يريد بذلك: حاجة عثمان في حق الله وحقِّ رسوله، وهذا كقوله سبحانه: {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} [الشعراء: 27] وإنما هو رسول الله إليهم.

ومَن احتجَّ بهذا في وجوب القَسْم لمن لَـحِقَ الجيشَ قبل القَسْم، فهو غيرُ مُصِيب، وذلك أنَّ عثمانَ رضي الله عنه كان بالمدينة. وهذا القائل لا يقسِم لمن كان في المصر. فلا موضع لاستدلاله فيه.

وأخرج أحمد في "مسنده" (490) قال: لَقِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: مَا لِي أَرَاكَ قَدْ جَفَوْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَبْلِغْهُ أَنِّي لَمْ أَفِرَّ يَوْمَ عَيْنَيْنِ - قَالَ عَاصِمٌ: يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ - وَلَمْ أَتَخَلَّفْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَلَمْ أَتْرُكْ سُنَّةَ عُمَرَ. قَالَ: فَانْطَلَقَ فَخَبَّرَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، قَالَ: فَقَالَ: أَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي لَمْ أَفِرَّ يَوْمَ عَيْنَيْنِ، فَكَيْفَ يُعَيِّرُنِي بِذَنْبٍ وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ،

وقيل: لتصبرَنَّ أو لتذمنّ.[114] قتلَ يومَ الجمعة لثلاثَ عَشَر من ذي الحجة، مِن سنةِ خمسٍ وثلاثين، وهو يَقرأ ــ حين قُتل ــ المصحَفَ، فوَقَعَت نَضْحَةٌ مِن دمه على قوله: {فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم} [البقرة: 137] وكان صائماً،[115] ودُفِن ليلةً في البقيع بعد وُقوعهِ مَطرُوحاً ثلاثةَ أيام لا يصلَّى عليهِ!! حتى هتَف هاتف: ادْفِنُوه، ولا تُصَلّوا عليه، فإنَّ الله تعالى صلَّى عليه.[116] وفي سِنّه ثلاثةُ أقوال: تسعون، وثمانون، واثنان وثمانون. وهو رابعٌ في الإسلام، قال رضي الله تعالى عنه: ما مَسِسْتُ فَرجِي بيَمِيني منذُ بايعْتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم،[117] ولا أتَتْ عليَّ جمعةٌ إلا وأنا أُعتِقُ فيها

فَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} [آل عمران: 155]، وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي تَخَلَّفْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَإِنِّي كُنْتُ أُمَرِّضُ رُقَيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَاتَتْ، وَقَدْ ضَرَبَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِي، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ فَقَدْ شَهِدَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي لَمْ أَتْرُكْ سُنَّةَ عُمَرَ، فَإِنِّي لَا أُطِيقُهَا وَلا هُوَ، فَائْتِهِ فَحَدِّثْهُ بِذَلِكَ. وأخرجه الطبراني (135) وإسناده حسن. عينان: قال ياقوت: هضبة جبل أحد بالمدينة، ويقال: جبلان عند أحد، ويقال ليوم أحد: عينين. والمراد بسنة عمر هنا: طريقتُه وهَديه وسيرته، فقد كان رضي الله عنه أزهدَهم في الدنيا، وأرغبَهم في الآخرة، وأشفقَهم على الرعية، وأكثرَهم تفقداً لأحوالهم، يُنْصِفُ مظلومَهم، ويُؤَمِّنُ خائِفَهم، ويَلِيْنُ لأهلِ السلامةِ والدِّينِ والفضلِ، ويَشْتَدُّ على أهلِ الفسَاد والظُّلم والتعدِّي، وقد أتعَبَ مَنْ بعدَه أنْ يَلْحَقَ بهِ، أو يَجْرِيَ في مضمارِه، ولهذا قال عثمان رضي الله عنه: فإني لا أُطِيقُها ولا هو!! وعند أحمد أيضاً (5772) في سياق حديث: ...وَأَمَّا تَعَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّهَا مَرِضَتْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَكَ أَجْرُ رَجُلٍ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ "... وأخرجه البخاري أيضاً (3130).

[114] أو لَتَنْدَمَنَّ. انظر " مآثر الإنافة في معالم الخلافة" القلقشندي (95/1).

[115] "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (63/1)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (408/39).

[116] قُتِل عثمانُ مظلوماً كمَا شهد له بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجماعةُ أهل السنة، وألقي على مَزْبَلةٍ!! فأقام فيها ثلاثةَ أيام لم يَقدِر أحدٌ على دَفنه، حتى جاء جماعةٌ بالليل خُفية، فحَمَلوه على لَوحٍ، وصلَّوا عليه، ودُفِن في موضِع مِن البقيع، يسمَّى (حوش كوكب)، وكان مما حبَسَه عثمانُ رضي الله عنه وزادَه في البقيع، وكان إذا مرَّ بهِ يقول: يُدفَنُ فيكَ رجلٌ صالح. وكان هو المدفونَ فيه!! وعُمِّيَ قبرُه لئلا يُعرَف... الحش: البستان. وحش كوكب: موقع إلى جانب بقيع الغرقد بالمدينة.

قلت: أخرج أحمد في "مسنده" (531) بإسناد ضعيف: عن عَبْدِ اللهِ بْنِ فَرُّوخ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دُفِنَ فِي ثِيَابِهِ بِدِمَائِهِ، وَلَمْ يُغَسَّلْ. وأخرجه أيضاً أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (267).

[117] "ما مسست" قال السندي: بكسر السين الأولى، أي: تعظيماً للبيعة واحتراماً ليده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن تعظيم ما مسَّتْهُ يدُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحقيقة تعظيمٌ ليده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحديث أخرجه ابن ماجه (311)، والمزي في "تهذيب الكمال" (13/ 225). وإسناده ضعيف، فيه الصلت بن دينار –وهو الأزدي الهُنَائي– ضعَّفَه غير واحد، وقال أحمد وعمرو بن علي والدارقطني: متروك. ولفظه تاماً: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ صُهْبَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ: مَا تَغَنَّيْتُ وَلَا تَمَنَّيْتُ، وَلَا مَسِسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. "ما

رَقَبَة منذ أســـلمتُ،[118] إلا أنْ لا أجِدَها في تلك الجمعة، فأجمعهما في الجمعةِ الثانيةِ. وقال طلحة: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لكل نبيٍّ رفيقٌ، ورفيقي ـــ يعني في الجنة ـــ عُثمانُ».[119] وقال جابر: حين أبى رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاةِ جنازةِ رجلٍ سُئل عنه، فقال: إنه كان يُبغِضُ عثمانَ، فأبغَضَه الله تعالى.[120] وقال أنسٌ: لـــمَّا كان عثمانُ رسولَ رسولِ الله إلى مكةَ حين بَيعةِ الرِّضْـوَان، قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنَّ عثمان في حاجةِ الله تعالى وحاجةِ رسولِ الله»، فضَرَب إحدَى يدَيه على الأخرى، فكانت يدُ رسول الله لعثمانَ خيراً مِن أَيدِيهم لأَنفُسِهم.[121] وقال ابنُ عُمَر رضي الله تعالى عنهما: إن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذَكَرَ فِتنةً فقال: «يُقتَل هَذا مَظلُوماً».[122] ولذَا قالَ يومَ الدارِ: إنَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عَهِد إليّ فأنا مُمتَثل له وصـابر عليه، وصـار شـهيداً.[123] وأرسَـل عليٌّ إلى عثمان رضـي الله تعالى عنهما: أن معي خمسـمئة دَارعٍ، فاذَنْ لي أَمنَعْكَ مِن القوم، قال: جُزِيت خيراً، ما أُحِبّ أن يُهراق دمٌ في سببي.[124] والحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما دخَلَ على عثمانَ مسلَّحاً يَستأذِن على الـــمُقاتلة، فقال عثمان: يا ابنَ

تغنيت" فسره المحب الطبري في "الرياض النضـرة" بالغِناء. وقوله: "ما تمنيت" قال في "النهاية ": أي: ما كذبتُ، التمني: التَكَذبُ، تَفَعُّلٌ من: مَنَى يَمني: إذا قدَر، لأن الكاذبْ يقدر الحديث في نفسه، ثم يقوله.

[118] أخرجه الطبراني في "الكبير" (124)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (114/35). قال الهيثمي في "المجمع" (86/9): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ شَيْخِهِ الْمِقْدَامِ بْنِ دَاوُدَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي الْإِمَامِ: وَقَدْ وُثِّقَ.

[119] أخرجه الترمذي (3698) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَلَيْسَ إِسْـنَادُهُ بِالْقَوِيِّ، وَهُوَ مُنْقَطِعٌ. وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة (109)، وأحمد في "فضائل الصحابة" (757) و (843)، وابن أبي عاصم في "السنة" (1289)، والعقيلي في "الضعفاء" (3/ 199)، وابن عَدي في "الكامل" (5/ 1822)، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (2/ 205) وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. وقال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف جدًا.

[120] أخرجه الترمذي وضـعَّفه (3709) ولفظه: أُتِيَ رَسُـولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ بِجَنَازَةِ رَجُلٍ، لِيُصَـلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُصَـلِّ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، مَا رَأَيْنَاكَ تَرَكْتَ الصَّـلَاةَ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ هَذَا؟ قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ عُثْمَانَ فَأَبْغَضَـهُ اللهُ". وقال بعض أهل العلم: إنه موضوع. وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (1312)، والآجري في «الشريعة» (1474).

[121] أخرجه الترمذي (3702) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَـنٌ صَـحِيحٌ غَرِيبٌ. وأخرجه أبو داود (2726)، وابن حبان (6909)، وانظر "جامع الأصول" (1174).

[122] أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (278/39)، والطرسوسي في "مسند ابن عمر" (28).

[123] أخرجه أحمد (407)، وابن ماجه (113)، والترمذي (3711)، وابن حبان (6918).

وأخرجه ابن أبي شـيبة (12 / 44)، وابن سـعد (3 / 66 – 67)، والبزار (402)، والحاكم (99/3). وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[124] أخرجه ابن شبة في "تاريخ المدينة" (1149/4)، وابن عساكر في "تاريخه" (398/39).

أخي، وَصَـــلَتْكَ الرحمُ، إنَّ القوم ما يُريدون غَيري، والله لا أتوقَّى بالمؤمنين، ولكنْ أتوقَّى المؤمنين بنفســـي.[125] وقالَ الزُّبَيرُ بن عبد الله: كان عثمانُ يصـــوم الدَّهر، ويقوم الليلَ إلا هَجْعَةً مِن أوله.[126] وقالت امرأةُ عثمان حين قُتل: قَتَلْتُموه وهو يُحيي الليلَ كلَّه بالقُرآن، وفي روايةٍ: يُحيي الليلَ في ركعةٍ يَجمَع فيها القرآن.[127] وكان يُطعِم الناسَ طعامَ الإمارة، ويدخُل بيتَه فيأكُلُ الـــخَلَّ والزَّيتَ.[128] وعن أبي هُريرة رضـــي الله تعالى عنه أنه حِين بَكَى على فوتِ زوجتهِ بنتِ رســول الله صــلى الله تعالى عليه وسلم، قال له صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما يُبكِيكَ؟» قال: أبكي على انقطاع صِهري مِنك، قال عليه الصلاة والسلام: «فهَذا جِبريلُ عليه السلام يأمرُني بأمرِ اللهِ تعالى أنْ أُزوِّجَك أختَها».[129] وعن ابنِ عبَّاس رضـــي الله تعالى عنهما بمعناه، وفيه: «والذِي نفسِـــي بيدهِ، لو أنَّ عِندِي مِئةَ بنتٍ تموتُ

---

[125] أخرجه ابن أبي الدنيا في "المحتضرين" (50)، وابن عساكر في "تاريخه" (400/39).

قلتُ: انظر ـ رحمك الله ـ إلى الفقهِ العظيم والفهم العميق مِن هذا الخليفة الراشدي، وقارن ما فعله بما يفعله سُفهاء الأحلام الذين لا يتردَّدون في إلحاق الأذى بالمسلمين، بتفجيرٍ يذهَبُ ضحيتَه كثيرٌ من المسلمين، بزعم أنهم يقصدون إلى بعض الكفار أو الظَّلَمة، وحجَّتُهم أنهم: يُبعثون على نياتهم!!!

هذا، وقد أخرج أحمد (526) بإسناد ضعيف: عَنْ مُسْلِمٍ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ:

أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَعْتَقَ عِشْرِينَ مَمْلُوكًا، وَدَعَا بِسَرَاوِيلَ فَشَدَّهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَلْبَسْهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ، وَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا لِي: اصْبِرْ، فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا الْقَابِلَةَ، ثُمَّ دَعَا بِمُصْحَفٍ فَنَشَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقُتِلَ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وأخرج أحمد أيضاً في "الزهد" (679): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: حُصِرَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي دَارِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَالَ لِي: أَيْقِظْنِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ السَّحَرِ فَأَتَيْتُهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ السَّحَرِ قُلْتُ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّحُورُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَقَالَ هَكَذَا، وَمَسَحَ جَبْهَتَهُ فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَطَعْتَ عَلَيَّ رُؤْيَا كُنْتُ فِيهَا، رَأَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: إِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا غَدًا، فَقُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ ".

[126] أخرجه أحمد في "الزهد" (688)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (6611).

[127] أخرجه ابن شبة في "تاريخ المدينة" (1272/4)، والطبراني في "الكبير" (130) ولفظه: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ أَطَافُوا بِهِ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ: «إِنْ تَقْتُلُوهُ أَوْ تَتْرُكُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا الْقُرْآنَ».

[128] أخرجه أحمد في "الزهد" (684)، وابن أبي الدنيا في "الجوع" (265).

[129] أخرجه الحاكم (6860): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَهُوَ مَغْمُومٌ، فَقَالَ: «مَا شَـــأْنُكَ يَا عُثْمَانُ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُـــولَ اللَّهِ وَأُمِّي، هَلْ دَخَلَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مَا دَخَلَ عَلَيَّ، تُوُفِّيَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمَهَا اللَّهُ، وَانْقَطَعَ الصِّهْرُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَقُولُ ذَلِكَ يَا عُثْمَانُ وَهَذَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّـــلَاةُ وَالسَّـــلَامُ يَأْمُرُنِي عَنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أُزَوِّجَكَ أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَى مِثْلِ صَدَاقِهَا وَعَلَى مِثْلِ عِدَّتِهَا» فَزَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا. وأخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (7358)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (38/39).

واحدةً بعد واحدة؛ زوَّجْتُك أخرى حتى لا يَبقى مِن المئة شيءٌ، هذا جبريلُ أخبَرني أن الله تعالى أمرَني أن أزوِّجَك أختَها، وأن أجعَل صَداقَها مِثلَ صَداق أختِها».[130] وكانت خلافتُه اثنتَي عَشْرَة سنةً إلَّا أياماً رضي الله تعالى عنه، فالإكثار أيضاً للإكثار أيضاً.[131]

[علي بن أبي طالب]

(**ثُمَّ عَلِيٌّ الـمُرْتَضَى**)[132] وأمُّه فاطمةُ بنتُ أسَدٍ، أسلَمَت وهاجَرت، يُكَنّى أبا الحسن، وأبا تُرَاب، وأبا قَضَم،[133] وسنّه يومَ إسلامه خمسَ عَشْرَة أو سِتَّ عَشْرَةَ، أو أربعَ عَشْرَةَ، أو ثماني سِنين، أو عَشرَ، أو تِسْعَ، أو ثلاثَ عَشْرَةَ، أو سبعَ، أقوالٌ. وقال أبو إسحاق: أولُ ذَكَر أسلَم: عليٌّ ثم زيدُ بنُ حارثة، ثم أبو بكر الصديقُ رضي الله تعالى عنهم. وسنُّه [يوم وفاته] سبعٌ وخمسُون، أو ثلاثٌ وستون، أو خمسٌ وستون. أقوالٌ، وهو أوّلُ مَن صَلَّى معَ النبيّ عليه الصلاة والسلام. وعن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: لعليٍّ أربعُ خِصال ليسَت لأحد غيرِه: أوّلُ مَن صلّى معَه عليه السلام، وكان لِواؤُه معه في كلِّ زَحْفٍ، وهو الذي صَبَر معه يوم فَرَّ عنه غيرُه، وهو الذي غَسَّله وأدخَلَه قبره.[134] وقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: ما أعلَمُ أحَداً مِن هذه الأمة عَبَدَ اللهَ تعالى قَبلي، لقد عبدْتُه قبل أن يَعبُده أحدٌ منهم

---

[130] أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (39/39).

[131] لعل المقصود من هذه الجملة: أن الشارح الخادمي رحمه الله تعالى ترك الإكثار من الحديث عن عثمان؛ خشية الوقوع في الملل، كما فعل قبلُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

[132] وفي حديث ابن عباس كما عند الطبراني في "الكبير" (10589): ... قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ: كَانَ وَاللَّهِ عَلَمَ الْهُدَى، وَكَهْفَ التُّقَى، وَمَحَلَّ الْحِجَا، وَطَوْدَ النُّهَى، وَنُورَ السُّرَى فِي ظُلَمِ الدُّجَى. دَاعِيًا إِلَى الْمَحَجَّةِ الْعُظْمَى، عَالِمًا بِمَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى، وَقَائِمًا بِالتَّأْوِيلِ وَالذِّكْرَى، مُتَعَلِّقًا بِأَسْبَابِ الْهُدَى، وَتَارِكًا لِلْجَوْرِ وَالْأَذَى، وَحَائِدًا عَنْ طُرُقَاتِ الرَّدَى، وَخَيْرَ مَنْ آمَنَ وَاتَّقَى، وَسَيِّدَ مَنْ تَقَمَّصَ وَارْتَدَى، وَأَفْضَلَ مَنْ حَجَّ وَسَعَى، وَأَسْمَحَ مَنْ عَدَلَ وَسَوَّى، وَأَخْطَبَ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ وَالنَّبِيَّ الْمُصْطَفَى. وَصَاحِبَ الْقِبْلَتَيْنِ، فَهَلْ يُوَازِيهِ مُوَحِّدٌ؟ وَزَوْجُ خَيْرُ النِّسَاءِ، وَأَبُو السِّبْطَيْنِ، لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ، وَلَا تَرَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاللِّقَاءِ. مَنْ لَعَنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْعِبَادِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[133] "معرفة الصحابة" أبو نعيم (289). والقضَم: السيف. **قلتُ**: أخرج البخاري (441)، ومسلم (2409): عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ. فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ».

[134] أخرجه الحاكم (4582) وقال الذهبي عقبه: فيه زكريا بن يحيى الوقار وهو متهم. وأخرجه ابن عساكر (72/42).

خمسَ سنين أو سبعاً.[135] وقال عِمران بن حُصَين: تعاهَدَ أربعةُ أشخاصٍ في شِكَاية رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأمر في حقِّ عليٍّ، فشكَى واحدٌ فأعرَضَ عنه، ثم... وثُم... إلى الرابع، ثم أقبَلَ إليهم رسولُ الله والغضبُ يُعرف في وجهه، فقال: «ما تُرِيدُون مِن عليٍّ» ثلاثَ مرَّات، ثم قال: «إنَّ عليًّا منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمِن بعدِي».[136] ولـمَّا نزَلَ قولُه تعالى: {ندع أبناءنا وأبناءكم} [آل

---

[135] أخرجه أبو يعلى (447) وهو ضعيف جداً. وأخرج أحمد في "مسنده" (776) بإسناد ضعيف: عَنْ حَبَّةَ الْعُرَنِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا، ضَحِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ لَمْ أَرَهُ ضَحِكَ أَكْثَرَ مِنْهُ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: ذَكَرْتُ قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ، ظَهَرَ عَلَيْنَا أَبُو طَالِبٍ، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نُصَلِّي بِبَطْنِ نَخْلَةَ، فَقَالَ: مَاذَا تَصْنَعَانِ يَا ابْنَ أَخِي؟ " فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ "، فَقَالَ: مَا بِالَّذِي تَصْنَعَانِ بَأْسٌ، أَوْ بِالَّذِي تَقُولانِ بَأْسٌ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا تَعْلُوَنِي اسْتِي أَبَدًا، وَضَحِكَ تَعَجُّبًا لِقَوْلِ أَبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: " اللهُمَّ لَا أَعْتَرِفُ أَنَّ عَبْدًا لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبَدَكَ قَبْلِي غَيْرَ نَبِيِّكَ – ثَلاثَ مِرَارٍ – لَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ النَّاسُ سَبْعًا ".

[136] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَحْدَثَ شَيْئًا فِي سَفَرِهِ فَتَعَاهَدَ. قَالَ عَفَّانُ: فَتَعَاقَدَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَذْكُرُوا أَمْرَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عِمْرَانُ: وَكُنَّا إِذَا قَدِمْنَا مِنْ سَفَرٍ بَدَأْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَامَ الثَّالِثُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَامَ الرَّابِعُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّابِعِ وَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ فَقَالَ: " دَعُوا عَلِيًّا، دَعُوا عَلِيًّا، دَعُوا عَلِيًّا، إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ". أخرجه أحمد (19928)، والطيالسي (829)، والترمذي (3712)، وابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني" (2298)، وفي "السنة" (1187)، والنسائي في "الكبرى" (8146) و (8474)، وفي "خصائص علي" (68) و (89)، وأبو يعلى (355)، وابن حبان (6929)، والطبراني (18/ (265).

قلت: وعن البراء بن عازب عند الترمذي (1704) لكن قال مكان قوله: ما تريدون من عَليّ ... إلخ قال: "ما ترى في رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؟ " ورجاله موثقون، وأصله في صحيح البخاري (3449).

وفي باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي: "أنت مني وأنا منك" عن البراء بن عازب عند البخاري (2699).

وقد قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي عام القضية لما تنازع هو وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة بنت حمزة، فقضى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها لخالتها، وكانت تحت جعفر، وقال: "الخالة أم" وقال لجعفر:" أشبهتَ خلقي وخُلُقي، وقال لعلي: "أنت مني وأنا منك" أي: في النسب والصهر والسابق والمحبة" وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا". انظر "مسند أحمد" (770) لزاماً.

وهذه اللفظة "أنت مني وأنا منك" لا تدل على أن من قيلت له كان هو أفضل الصحابة، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأشعريين كما في "الصحيحين": "هم مني وأنا منهم"، وقال لجُلَيبيب: "هذا مني وأنا منه".

وقوله: "هو وليّ كل مؤمن بعدي" قال ابن تيمية في "منهاج السنة" (7/391-392): هذا كذب على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هو في حياته وبعدَ مماته وليُّ كل مؤمن، وكل مؤمن وليُّه في المحيا والممات، فالولاية التي هي ضدّ العَدَاوة لا تَختَص بزمان، وأمَّا الولاية التي هي الإمَارة، فيقال فيها: والي كلِّ مؤمن بعدي، كما يقال في صلاة الجنازة: إذا اجتمع الولي والوالي قدّم الوالي في قول الأكثر.

عمران: 61] دعَا رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عَليًّا وفاطمةَ وحَسَناً وحُسَيناً، فقالَ: «اللهمّ هؤلاءِ مِن أهلي».[137] وقال له عليه الصلاة والسلام: «أمَا ترضَى أن تكونَ مِني بمنزلةِ هارونَ مِن موسى، إلَّا أنه لا نُبُوّةَ بعدِي».[138] وقالَ يومَ حُنَين: «لأُعطِيَنَّ الرايةَ غَدَاً رَجُلاً يُحِبّ الله تعالى ويحبُّه رسولُ الله» فتَطاوَلَ على الأصحابِ،[139] فقال: «ادعُوا عليًّا» فأتِي به أرمَدَ، فبَصَقَ في عَينه، ودفَعَ الرايةَ إليه، ففَتَحَ، وقال عمرُ رضي الله تعالى عنه: ما اشتَهَيْتُ رِياسةً إلا في ذلك الوقتِ.[140] وقال الحسَن بنُ عليٍّ رضي الله تعالى عنهما: قالَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ادعُوا إليَّ سيدَ العَرب» يعني: عليًّا، فقالت عائشة: ألسْتَ سيدَ العرب؟ قال: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ، وعليٌّ سيّدُ العَرب».[141] فلمَّا جاءَ أرسَل إلى الأنصارِ، فأتَوه فقال لهم: «يا معشرَ الأنصار، ألَا أدلُّكم على ما إنْ تمسَّكتُم به لم تَضِلّوا بعدَه»؟ قالُوا: بلى يا رسول الله، قالَ: «هذا عليّ فأَحِبُّوهُ بحُبِّي، وأَكْرِمُوه

فقول القائل: "عليّ وليُّ كلّ مؤمن بعدي" كلامٌ يمتنع نسبتُه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه إن أراد الموالاة؛ لم يَحتَجْ أن يقول: "بعدي"، وإن أراد الإمَارة كان ينبغي أن يقول: والٍ على كل مؤمن.

[137] عَنْ شَدَّادٍ أَبِي عَمَّارٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، وَعِنْدَهُ قَوْمٌ، فَذَكَرُوا عَلِيًّا، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ، قَالَتْ: تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، آخِذٌ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ، حَتَّى دَخَلَ فَأَدْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ، فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا، وَحُسَيْنًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ – أَوْ قَالَ: كِسَاءً – ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33] وَقَالَ: " اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ ". أخرجه أحمد (16988)، وأبو يعلى (7486)، والطبراني في "الكبير" 22/ (160). وأخرجه مسلم (32) (2404)، والترمذي (3724).

[138] أخرج مسلم في سياق حديث (2404) (32): ... سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي... وهو عند الترمذي أيضاً (3724)، وأحمد (1608).

[139] أي: تطاول الناس لها، ومدُّوا.

[140] قوله: "لأعطين الراية..". أخرجه البخاري (2975) و (3702) و (4209)، ومسلم (2407). وقول عمر رضي الله عنه: أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (2474)، وأحمد في "فضائل الصحابة" (1122) ولفظه: ... فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَتَشَارَفْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ»، قَالَ: فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا، ثُمَّ وَقَفَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

[141] أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (599)، وابن عساكر في "تاريخه" (182/30).

بكَرامتي، فإنَّ جَبرائيل أمرَني بالذي قلتُ لكم عن الله عزَّ وجل».[142] وعن أنسٍ رضـي الله تعالى عنه، قالَ رسـول الله صـلى الله تعالى عليه وسـلم: «يا أنسُ، أوّلُ مَن يدخُل عليكَ مِن هذا الباب أميرُ المؤمنين، وسيّدُ المسلمين، وقائدُ الغُرّ الـمُحَجَّلين، وخاتَم الوَصيّين»، قال أنسٌ: قلتُ: اللهُمّ اجعَلْه رَجُلاً مِن الأنصـار، وكتَمَه، إذ جاء عليٌّ فقال: «مَن هذا يا أنسُ» فقلتُ: عليٌّ، فقام مُسـتَبشـراً، فاعتَنَقَه، ثم جعَل يَـمسَح عَرَق وجههِ بيدهِ، ويمسَحُ عليٌّ وجهَه بوجههِ، فقال عليٌّ: يا رسولَ الله، لقد صـنعتَ شـيئاً ما صـنعتَهُ لي قبلُ، قال: «وما يمنعُني وأنتَ تؤدِّي عَنّي، وتُسـمِعُهم صـوتي، وتبيّنُ لهم ما اختلَفُوا فيه بعدِي».[143] وقال ابن عباس رضـي الله تعالى عنهما: قالَ رسـولُ الله صـلى الله تعالى عليه وسـلم: «ما أنزَلَ اللهُ تعالى آيةً فيها: {يا أيها الذين آمنوا} إلا وعليٌّ رأسُـها وأَميرُها».[144] وعن أنسٍ رضـي الله تعالى عنه أنه قال: قالَ رسـول الله صـلى الله تعالى عليه وسـلم: «إنَّ ربَّ العالمين عَهِدَ إليَّ عَهداً في عليّ بن أبي طالب، فقال: إنَّهُ رايةُ الـــهُدَى، ومنارُ الإيمان، وإمامُ أوليائي، ونورُ جميع مَن أطاعني، وأَمِيني غدَاً في القيامة، وصـاحبُ رايتي يومَ القيامة على مَفاتيح خزائنِ رحمةِ ربي».[145] وقال أنسٌ رضي الله تعالى عنه: كان عندَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طائرٌ، فقال: «ائْـتِني بأحبِّ خَلقِكَ إليكَ يأكُل معِي من هذا الطائر» فجاء عليٌّ يأكُلُ معه. قيل: أخرَج هذا القَدْرَ الترمذيُّ،[146]

---

[142] أخرجه الطبراني في "الكبير" (2749)، وأبو نعيم في "الحلية" (63/1). قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (14753): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضبي، وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

قلت: هو موضـوع. قال الذهبي في "ميزان الاعتدال" (6069) في ترجمة عمر بن الحسـن الراسـبي: لا يكاد يعرف، وأتى بخبر باطل، متنه: على سيد العرب.

[143] قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. قال يحيى بن معين: علي بن عابس ليس بشيء، وقد رَوَى هذا الحديث جابرٌ الجعفي، عن أبي الطفيل عن أنس. قال زائدة: كان جابر كذاباً. وقال أبو حنيفة: ما لقيتُ أكذبَ منه.

وقال الذهبي في "الميزان" في ترجمة إبراهيم بن محمود (211): إبراهيم بن محمود بن ميمون. لا أعرفه.

رَوَى حديثاً موضـوعاً فأسمعه... ثم سـاق الذهبي الحديث المشـار إليه. وانظر "اللآلئ المصـنوعة" للسـيوطي (329/1)، و"تنزيه الشريعة" (51)، و"الصحيحة" (4886).

[144] أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (1114)، وإسناده موضوع، فيه موسى بن عثمان الحضرمي، متروك. "ميزان الاعتدال" (8896).

[145] أورده ابن الجوزي في "الموضوعات" وهو موضوع (388/1)، وانظر "تنزيه الشريعة" (359/1).

[146] أخرجه الترمذي (3721) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ السُّـدِّيِّ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وعند النسـائي في "الكبرى" (8341): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ كَانَ عِنْدَهُ طَائِرٌ فَقَالَ: «اللهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَأْكُلُ مَعِي مِنْ هَذَا الطَّيْرِ» فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّهُ، وَجَاءَ عُمَرُ فَرَدَّهُ، وَجَاءَ عَلِيٌّ فَأَذِنَ لَهُ!!!

وقال أبو ذَرٍّ: سَأل سائلٌ في مسجد رسول الله، فلم يُعطِهِ أحدٌ، فرَفَع السائلُ يدَه قائلاً: اللهمّ اشهَدْ أني سألتُ في مسجدِ رسول الله، فلم يُعطِني أحدٌ، وكان عليٌّ راكِعاً، فأومَأ إليه بخنصره إلى الخاتم، فأخذَه، وذلك بعين رسول الله، فلما فرَغ من صلاته قال: «اللهم إنَّ أخي موسى سألَكَ فقال: {رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي} إلى قوله: {وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرا مِّنۡ أَهۡلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي} [طه: 29 ـــــ 32]، فأنزلْتَ: { سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ} [القصص: 35] اللهمّ وأنا محمدٌ نبيُّكَ وصَفِيُّكَ، اللهُم فاشرَح لي صَدري، ويسِّرْ لي أمري، واجعَل لي وَزيراً مِن أهلي عَليًّا، اشدُد به أزري» فنزلَت: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ} [المائدة: 55] الآية.[147] وقال عُمَرُ رضي الله تعالى عنه: قالَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنَّ السمواتِ السبعَ والأرضين السبعَ، لو وُضِعَتا في كَفَّة ميزانٍ، ثم وُضِع إيمانُ عليّ في كفّةٍ؛ لرَجَحَ إيمانُ عليٍّ».[148] وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه: قالَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «النظَرُ إلى عليٍّ عِبَادةٌ».[149] وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم: «أنا مدينةُ العِلم وعليٌّ بابُها، فمَن أرادَ مدينة العِلم فلْيَأتِ بابَها»، وفي روايةِ جابر: «أنا مدينة الحِكَم أو الحكمةِ وعليٌّ بابُها، فمَن أرادَ المدينة فليأتِ بابَها».[150] وعن علي رضي الله تعالى عنه: بَعَثني رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى اليَمَن، فقلتُ: يا رسول الله، تبعَثُني إلى اليمن، ويسألوني القضاءَ، ولا أعلَمُ بهِ، فقال: «ادنه» فدَنَوتُ، فضَرَب بيدهِ على صدري، ثم قال: «اللهمّ ثبِّتْ لسانَه، واهْدِ قلبَه» فلا والذِي فَلَق الحبَّةَ، وبَرَأ النَّسْمَة، مَا شكَكْتُ في قضاءٍ بين اثنينِ بعدَه.[151]

وأخرج الطبراني في "الأوسط" (9372) نحوه. **والحديث منكر**، أورده ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (226/1). وانظر "لسان الميزان" (688)، و"مجمع الزوائد" (14726).

[147] أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" (1158). وقال في "الصحيحة" (4958): موضوع.

[148] أخرجه ابن عساكر في "تاريخه" (341/42)، قال الذهبي في "الميزان" (7288): محمد بن تسنيم الوراق:
ما أعرِفُ حالَه، لكن روَى حديثاً باطلاً رواه ابن عساكر... ثم ساق الحديثَ.

[149] أخرجه الحاكم (4681) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَشَوَاهِدُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ صَحِيحَةٌ. فاستدرك عليه الذهبي فقال: **ذا موضوع!!** وانظر "ميزان الاعتدال" (6280).

[150] أخرج الطبراني في "الكبير" (11061) الروايةَ الأولى، وأخرج الآجري في "الشريعة" (1551) الرواية الثانية.
وأخرج الحاكم الرواية الأولى (4637) وصححها، فقال الذهبي مستدركاً: **بل موضوع**.

[151] أخرجه أحمد (882)، والترمذي (1331)، والطيالسي (125)، ووكيع في "أخبار القضاة" (85/1 و86)، والبيهقي (86/10) وهو حسن لغيره: واللفظ عند أحمد: عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا

وقالت عائشةُ رضي الله تعالى عنها وعن أَبَويها: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم وهُوَ في بَيتِهَا لـــمَّا حَضَره الموتُ: «ادعوا إليَّ حبيبي» فدعوتُ له أبا بكر، فنَظَر إليه، ثم وضَع رأسَه، وقال: «ادعوا إليّ حَبيبي» فدَعَوا له عُمرَ، فلمَّا نظَر إليه وضَعَ رأسَه، ثم قال: «ادعو إليّ حبيبي»، فقلتُ: ويلَكم، ادعُوا عليَّ بنَ أبي طالب، فواللهِ ما يريدُ غَيرَه، فلمَّا رآه أفردَ الثوبَ الذي كان عليه، ثم أدخله فيه، فلم يزَلْ مُحْتَضِنَه حتى قُبِضَ ويدُه عليه.[152]

وقال الشعبيُّ: خاصَمَ عليّ في دِرع في يَدِ نصرانيّ عندَ شُرَيح القاضي، وجلس عليٌّ إلى جَنْبِ شُرَيح، فقال: لو كان خَصْمِي مسلماً لَجلستُ معه، ولكنَّهُ نصرانيٌّ، وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا كنتُم وإياهم في طريقٍ فاضطرُّوهم إلى مُضَايقةٍ، وصغِّرُوا بهم كما صغَّرَ الله تعالى بهم مِن غير أن تَطْغَوا» ثم قالَ عليّ: هذا الدرعُ دِرعي، وقال النصـــرانيّ: ما الدرعُ إلا درعي، فطلَب البينةَ، فقال عليّ ضاحكاً: ليسَ لي بيّنة، فقَضَى بها للنصرانيّ، وقال عليّ: أصابَ شُريح في قضَائه، فمَشَى النصرانيُّ ثم رجَع، فقال: إنَّ هذه أحكامُ الأنبياء، أمير المؤمنين قدَّمَه إلى قاضيه، وقاضيهِ يقضِي عليه، فأسلَمَ، وقال: الدِرع دِرْعُكَ، اتَّبَعْتُ الجيشَ وأنتَ مُنطَلِق إلى صِفّين، فخرَّجَتْ مِن بعيرك، فقال عليٌّ: فهِيَ لكَ، وحَمَلَه على فرسٍ.[153]

ورُوي أنَّ عليًّا كان يمشِي في الأسواقِ وحدَه، وهو والٍ يُرشد الضالّ، ويُعين الضَّعيفَ، ويَـــمُرّ بالبائع والبقّال، فيفتح عليه بالقرآن ويقرأ: {تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً} [القصص: 83] ويقول: هذه الآيةُ في أهل العَدْل والتواضُع، وأهلِ القُدرة مِن سائر الناس، وقيل: هو ركِبَ حماراً ودَلَّى رجلَيهِ إلى موضـــع واحدٍ، ثم قال: أنا الذي أَهَنْتُ الدُّنيا.[154] وكذّب رجلٌ عليًّا بحديثٍ، فما قام حتى عَمِيَ! وقيل: قال عليٌّ لرجلٍ: أنتَ كذَّبْتَني، وقال: لم أفعَل، قال: أدعُو

رَسُولَ اللهِ، تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ أَسَنَّ مِنِّي، وَأَنَا حَدَثٌ لَا أُبْصِرُ الْقَضَاءَ؟ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: " اللهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ، وَاهْدِ قَلْبَهُ، يَا عَلِيُّ، إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْـــمَانِ فَلا تَقْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْـــمَعَ مِنَ الْآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ " قَالَ: فَمَا اخْتَلَفَ عَلَيَّ قَضَاءٌ بَعْدُ، أَوْ مَا أَشْكَلَ عَلَيَّ قَضَاءٌ بَعْدُ.

[152] أورده السيوطي في "اللآلئ المصنوعة" (342/1). قال الدارقطني: مسلم بن كيسان: متروك. "الموضوعات" لابن الجوزي (392/1). **قلت**: ورائحة الوضع تفوح منه، قبَّح الله واضعَه!!

[153] أخرجه الجرجاني في "ترتيب الأمالي" (2627)، وأبو نعيم في "الحلية" (141/4). **قلت**: أما قوله: فاضطروهم... فقد أخرجه أحمد (7617)، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (1103)، ومسلم (2167)، والترمذي (1602) و (2700). ولفظه: " لَا تَبْتَدِئُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهَا ".

[154] أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (489/42)، وأورده الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (245) راشدون.

عليكَ إنْ كذَّبْتَ؟! قال: أُدْعُ، فدَعا، فما بَرِح حتى عَمِيَ.[155] وقال الحِرْمَازِيُّ وأبو صَالح: قال مُعَاويةُ لضِرَار الصّيْدَائي: يا ضِرارُ، صِفْ لي عَليًّا، قال: اعفِنـــي يا أميرَ المؤمنين، وقال: لَتَصِفَنَّه، قال: أمَا لا بدَّ مِن وَصفهِ؛ فكانَ ـ واللهِ ـ بَعيدَ المدى، شديدَ القُوى، فيقول فَصلاً، ويَحكم عدْلاً، يَتفجَّر العلمُ مِن جوانبه، وتَنطِق الحِكمة مِن نواحيه، يَستوحِش من الدنيا وزَهْرَتِها، ويأنَس بالليل وظُلْمَتِه، وكان ـ واللهِ ـــ غَزيرَ الدَّمْعَة، طويلَ الفِكرة، يقلِب كفَّهُ، ويخاطِب نفسَه، يُعجِبه من اللباس ما خَشُنَ، ومِن الطعام ما خَشُب، كان ـــ والله ـــ فِينا كأَحدنا يُـجِيبُنا إذَا سألْنَاه، ويُنبِئُنا إذا استَنْبَأناهُ، ويَـبْتَدينا إذَا أَتينَاهُ، ويَأتِينا إذَا دعَوْنَاه، ونحن واللهِ مع تقريبهِ لنا وقُربِهِ منّا لا نُكلِّمه هَيبةً، ولا نَبتَديهِ لعَظَمته، فإنْ تبسَّـــمَ فعن مِثل اللُّؤلُؤ الـــمنظُوم، يعظِّم أهلَ الدِّين، ويُحب المساكين، لا يَطْمَع القويُّ في باطلهِ، ولا يَيْأَس الضعيفُ من عَدْله، ويَبكِي بكاءَ الحَزين، وهو يقولُ: يا دُنيا يا دُنيا، أوَ بي تعرَّضْتِ، أم إليّ تَشَوَّقْتِ، هيهاتَ هيهاتَ، غُرِّي غَيري، قد بِنْتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي، فعُمرك قصـــيرٌ، وعيشُـــكِ حَقيرٌ، وخطَرُكِ كثيرٌ، آهٍ مِن قلّةِ الزاد، وبُعْدِ السَّفر، ووَحْشَة الطريق. فذَرَفَتْ دموعُ معاويةَ على لِـحيَتِهِ فما يَـملكها، وهو يُنَشِّـفُها بكُمِّه وقد اختَنَق القومُ بالبكاء، ثم قالَ معاوية: رَحِمَ الله أبا الحسَـن، كان واللهِ كذلك، فكيفَ حُزنُكَ يا ضرارُ؟ [قَالَ: حزن من ذبح ولده وَهُوَ فِي حِجرها].[156]

وبالجملة، لو تحمَّلُ هذه الكُرَّاسةُ لأَتْـمَمْتُ ما وَقَفْتُ على مَنَاقبهِ، وأنا مُعتَذِر فيما أثبَتُّ بكثرةِ حُبي في تكثيرِ مدَائحِهم، وأنا متوسِّلٌ فيما حرَّرْتُه إلى خِدْمتهم واستيصالهم.

ثم إنَّ مناقِبَ عليٍّ رضـــي الله تعالى عنه تكادُ أن لا تَتَنَاهى، وإجمالُه ما قال الإمام الحنبلي رحمه الله تعالى: ما جاءَ لأحدٍ مِن أصحابِ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفضائل ما جاءَ لعليّ بن أبي طالب.[157] وقال المحقِّق الدوَّاني: ومَناقِبُه أكثرُ مِن أن تُـــحصَى، وأوفرُ مِن أن تُستَقْصَى، وقد

---

[155] أخرجه اللالكائي في "كرامات الأولياء" (73)، وأبو محمد الدمشقي الحنفي في "المعجم" (318)، وابن عساكر في "تاريخه" (491/42).

[156] أخرجه أبو عُمر القرطبي في كلٍّ من: "بهجة النفوس" (109)، و"الاستيعاب" (1107/3)، وابنُ عساكر في "تاريخه" (401/24). وذكره ابن الجوزي في "صفة الصفوة" (1/ 315) وإسناده لينٌ.

[157] أخرجه الحاكم في "المستدرك" (4572) من كلام الإمام أحمد بن حنبل. وسكت عنه الذهبي.

قال الشيخ أبو بكر البيهقي ـــ كما نقله ابنُ عساكر في "تاريخه" (418/42) ـــ وهذا لأنَّ أمير المؤمنين عليًّا عاشَ بعد سائر الخلفاء، حتى ظهر له مخالفون، وخرج عليه خارجون، فاحتاج مَن بَقِيَ مِن الصحابة إلى رواية مَا سمعوه في فضائلهِ ومراتبه ومناقبه ومحاسنه ليَرُدُّوا بذلك عنه مالا يَليق بهِ من القول والفعل، وهو أهلُ كلِّ فضيلة ومَنْقَبة، ومَستَحِقٌّ لكل سابقةٍ ومرتبةٍ، ولم يكن أحدٌ في وقتهِ أحقَّ بالخلافة منه، وكان في قُعُودهِ عن الطلب قبلَه مُحِقًّا، وفي طلبهِ في وَقته مَستَحِقًّا.

سمعتُ ما أشـارَ إليه العلَّامة التفتازاني أنَّ الإنصـاف فيه إن أريدَ بالأفضـلية كثرةُ ما يعُدُّه ذَوُو العقولِ من الفضائل؛ لا تتوقَّف في فضل علي، لكنْ هكذا وجدْنَا السلفَ، فلو لم يكن لهم دليلٌ على ما رَتَّبُوا لَمَا حَكَمُوا بذلك، وقد سمعتَ أثر محمد ابن الحنفية عن أبيهِ عليٍّ رضي الله تعالى عنهما.[158]

ومُدَّة خِلافته ستُّ سنين، واستُشهِد على رأس ثلاثينَ من وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فتمَّ نِصابُ الخلافة على ما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يَصِيرُ مُلْكَاً عَضُـوضَـاً».[159] وقيل: إنَّ الثلاثين إنما تَتِمُّ بخلافة الحسـن بن علي رضـي الله تعالى عنهما ستةَ أشهر.

قلت: وقد أخرج الحديث بطوله أيضاً ابنُ الجزري في كتابه "مناقب الأسد الغالب مُمزق الكتائب ومُظهر العجائب ليث بن غالب أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب" (11)، وأورده ابن حجر في "إتحاف المهرة" (23885).

[158] سبق في (ص 29).

[159] عَنْ سَـفِينَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يَقُولُ: " الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ ". قَالَ سَفِينَةُ: " أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ ". أخرجه أحمد في "مسـنده" (21919)، وفي "فضـائل الصـحابة" (789) و (1027)، وقد صـحَّحَه كما في "السـنة" للخلال (636). وأخرجه ابن أبي عاصـم في "السـنة" (1181)، وفي "الآحاد والمثاني" (113) و (139). وأخرجه أبو داود (4647) ولفظه: "خلافةُ النُّبوَّة ثلاثونَ سنةَ، ثم يؤتِي الله الـمُلكَ -أو مُلْكَه- مَن يشاء". **قلت**: وأخرج أحمد في "مسنده" (20445) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: وَفَدْتُ مَعَ أَبِي إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُـفْيَانَ، فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرَةَ، حَدِّثْنِي بِشَـيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، وَيَسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: " أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا؟ " فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُـولَ اللهِ، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنَ السَّـمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجَحْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وُزِنَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ، ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ، فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ، فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ "، قَالَ عَفَّانُ فِيهِ: فَاسْتَآءَ لها، وَقَالَ حَمَّادٌ: فَسَاءَهُ ذَلِكَ.

"فاستاءَ لها" قال أبو عبيد في "غريب الحديث" (100/3): إنما هو من المساءة، أي: أن الرؤيا ساءته فاستاء لها، إنما هو "افتعل" منها.. قال: إنما نرى مساءته كانت لما ذكر مما يكون من الملك بعد الخلافة. قال: وبعضهم يرويه: فاستآلها، فمن رواه هذه الرواية فمعناها التأوُّل، وإنما هو استفعل من ذلك، وهو وجه حسن غير مدفوع.

والأشبه بالصواب رواية: فاستاءَ لها، ويؤيده الرواية التي ذكرها المصنف عن حماد: "فساءه ذلك"، ويؤيده أيضاً رواية الحسن البصري عن أبي بكرة، ففي آخرها: فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما سفينة فهو: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبا عبدِ الرحمن، اختلف في اسمه، وكان أصلُه من فارس، فاشترتْهُ أمُّ سلمة، ثم أعتقَتْهُ، واشترطَتْ عليه أن يخدِم النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ولقَّبَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سفينة، لأنه كان مع رسولِ الله في سَـفَر، فكلَّما أعيَا بعضُ القوم ألقَى عليه سيفَه وتُرسَـه ورُمحه حتى حَمَل مِن ذلك شيئاً كثيراً، فقال له النبيُّ صـلى الله عليه وسـلم: "أنت سفينة". وانظر "مسند أحمد" (2192)

لقوله تعالى: {والسابقون} أي: في الطاعات والعبادات بتكثيرها والإتيان بأفضلها، متسارعين فيها، هم **{السابقون}** في الفضلِ منهم، يَسبِقون الكلَّ في دُخول الجنة، فالكلام على هذا مبتدأٌ، وخبرٌ. **{أولئك المقرَّبون}** [الواقعة: 10 ـ 12] أي: أَعْلَيْتُ مراتِبَهم، ورَقَّيْتُ إلى حَظائر القُدس نُفوسَهم، فهذا إنما يدُلّ على المطلوب بعد ملاحظةِ إحالة أدلّةِ تفاصيلِ هذا الترتيب على السَّلف، وإلا فيَخطُر بالبال المطلوبِ؛ إمَّا مطلَقُ فضلِهم على سائر الأمة، أو تفاصيلُ هذا الترتيبِ في الفضل، وعلى التقديرين: السبقُ؛ إما في الإسلام، أو الطاعات، فأربع، الاحتمالات كلّها خفيّة، فإنَّ السبقَ في الإسلام قد وُجِد وكثُرَ في غيرهم، والسبقُ في الطاعات على ما شَهِدَت به الآثارُ، وتواترتِ الأخبار رُبَّما يوجَد في المفضولِ ـ سيَّما إذا أريدَ مِن الفضل ما يَعُمّ ـ الأَعْلَمِيّةُ والأَشْرَفيّةُ في النَّسَب ونَحوهما، وإن كان الحقَّ أن معناه أكثرُ ثواباً عندَ الله بما كسَبَ مِن خير، ولو أُريدَ السبقُ في الخِلَافة كما تُوُهِّمَ لَلَزِم شرطيّة كون الخليفة أفضلَ زمانه، وهو ليس بشرطٍ، كما فصِّل في «شرح العقائد».[160]

(وكلٌّ مَن كانَ أسبَقَ) الظاهر في الطاعاتِ كما عرفتَ، وأمَّا في الخِلافة فلا يحسُن كما عرفتَ أيضاً **(فهو أفضلُ عندَ الله)** كقوله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات: 13] **(ويُحِبّهُم)** أي: هذهِ الأربعةَ كلَّهم **(كلُّ مؤمنٍ)** خِلَافاً لِمَن ضَلَّ وفسَق، بل كفرَ كالرَّوَافض والشِّيعة في إهَانة الشَّيخَين وسبِّهم، قال في «الأشباه»: سبُّ الشَّيخينِ كُفْرٌ، وإنْ فَضَّل عليًّا عليهما فمُبتَدِع.[161] كذا في «الخلاصة».

ثم لُزوم المَحبَّة ليس بمُختَصّ بالأربعة، بل بجميعِ أصحابِ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، منهم معاوية رضي الله تعالى عنه، وأمَّا يزيد بن معاوية[162] فكثُرَ فيه القِيل والقال، والأكثرُ عدَمُ الحُبِّ

---

[160] توثيق...

[161] "الأشباه والنظائر" لابن نُجيم الحنفي (159)، وانظر "الصواعق المحرقة..." لابن حجر الهيتمي (139/1). **قلت**: وفي "فيض الباري على صحيح البخاري" أنور شاه الكشميري (195/1): إن سبَّ الصحابة رضي الله عنهم فسقٌ. وقال بعضُهم: إن سبَّ الشيخين كفر، والمحققُ أنَّ سبَّ الصحابة رضي الله عنهم كلِّهم أو أكثرهم كفرٌ. وسبَّ صحابيٍّ واحد أو اثنين فِسق، وسبَّ أحدِهما الآخرَ ليس بكُفر، فإنه يكون لداعيةٍ، لا لمجردِ تَبريدِ الغيظِ. بخلاف سَبِّ مَن بعدَهم إياهم، فإنه ليس بسببٍ صحيح، بل لمجرَّدِ تبريدِ الغيظ، فإنهم قد انقطعوا عن الدنيا، ولم يبقَ لهم معاملةٌ مع الناس، فلا يقعُ مَنْ يقعُ فيهم إلا لأجل الغيظ منهم.

[162] يزيد... أخرج الإمام أحمد في "مسنده" (5088) من حديث ابن عُمَر: عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ؛ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ "، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ تَعَالَى، أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ، فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ، وَلَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا

الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَـيْلَمٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. وأخرجه مسـلم (1735) (9)، وبنحوه عند البخاري (7111). قوله: "لما خلَعَ الناسُ يزيدَ"، قال السِّنْدي: أي: أهل المدينة، فإنه يوم بلَغَهم سُوءُ حاله خَلَعوه، وكان ذلك سبباً لفتنة الحرَّة. وقوله: "على بيع الله ورسوله" قال الحافظ في "الفتح " (71/13): أي: على شرط ما أمَر الله ورسوله به من بيعة الإمام، وذلك أنَّ مَن بايع أميراً فقد أعطاه الطاعة، وأخَذَ منه العَطِيَّة، فكان شبيهَ مَن باع سِلعةً وأخَذ ثمنَها.

وقوله: "أن لا يكون الإشراكُ بالله"، أي: إنَّ من أعظم الغدر بعدَ الإشراك بالله أن يبايع رجلٌ رجلًا على بيع الله ورسوله، ثم ينكُث بيعتَه، وهو ما في رواية عفَّان بن مسلم، عن صخر بن جويرية عند البيهقي، وعزاه الحافظ في "الفتح" (71/13) من هذا الطريق بهذا اللفظ إلى أبي العباس السرّاج في "تاريخه".

وقوله: "ولا يُشرفن"، قال السِّنْدي: من الإشراف، أي: لا يَدخُلَنَّ في هذا الأمر، أي: أمر الخُلع.

وقوله: "فيكون صَيْلَم" ضبط بفتح صاد وسكون ياء وفتح لام، أي: فيتحقق، ويوجد قَطِيعة منكرة بيني وبينه، وأصل الصيلم: الداهية، والياء زائدة، والمضارع بالنصب على أنه جواب النهي. ولفظ البخاري (7111): وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصلَ بيني وبينه. أي: القاطعة، وهي فيعل، مِن فَصَلَ الشيءَ: إذا قطعه.

وأخرج أحمد أيضاً (23523) وهو صحيح بطرقه وشواهده: عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، كَانَ أَمِيرًا عَلَى الْجَيْشِ الَّذِي غَزَا فِيهِ أَبُو أَيُّوبَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: إِذَا مِتُّ فَاقْرَؤوا عَلَى النَّاسِ مِنِّي السَّلَامَ، فَأَخْبِرُوهُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا جَعَلَهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ "، وَلْيَنْطَلِقُوا بِي، فَلْيَبْعُدُوا بِي فِي أَرْضِ الرُّومِ مَا اسْتَطَاعُوا " فَحَدَّثَ النَّاسُ لَمَّا مَاتَ أَبُو أَيُّوبَ فَاسْتَلْأَمَ النَّاسُ، وَانْطَلَقُوا بِجَنَازَتِهِ". "فاستلأَم" بهمزة بعد اللام، أي: لبسوا السلاح.

قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (35/4): له (ليزيد) على هَنَاته حسنةٌ، وهي غَزْو القُسطَنطينية، وكان أميرَ ذلك الجيش، وفيهم مثلُ أبي أيوب الأنصاري. عَقَد له أبوه بولاية العهد مِن بعده، فتسلم المُلك عندَ موت أبيه في رجب، سنة ستين، وله ثلاث وثلاثون سنة. فكانت دولتُه أقلَّ من أربع سنين؛ ولم يُمْهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلَعُوه...

ويزيدُ ممن لا نَسبُّهُ ولا نُحِبُّه، وله نظراءُ من خُلفاء الدولتين، وكذلك في مُلوك النواحي، بل فيهم مَن هو شرٌّ منه.

وإنَّما عظُمَ الخطْبُ، لكونه وَلِيَ بعدَ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسع وأربعين سنةً، والعهدُ قريبٌ، والصحابة موجودون، كابن عُمر الذي كان أَولى بالأمر منه، ومِن أبيه، وجدِّه.

كان قوياً، شُجاعاً، ذا رأي، وحَزْم، وفِطنة، وفَصَاحة، وله شِعر جيد، وكان ناصبيًّا [يعادي علياً]، فَظًّا، غَليظًا، جِلْفًا، يَتناوَلُ المُسكِر، ويفعَلُ المُنكَرَ، افتَتَح دولتَه بمَقتَل الشهيد الحسين، واختَتَمها بواقعة الحرَّة، فمَقَّتَه الناسُ، ولم يُبارَك في عُمره. قال الحافظ في "تقريب التهذيب" (7777): ليسَ بأهلٍ أَنْ يُروَى عنهُ!!

وقال خير الدين الزركلي في "الأعلام" (189/8): خَلَع أهلُ المدينة طاعتَه (سنة 63) فأرسَل إليهم مُسلِمَ بنَ عُقبة المُرّي، وأمَره أن يستبيحها ثلاثةَ أيام، وأن يبايع أهلَها على أنهم عَبيد ليَزيد!! ففَعَل بها مسلمٌ الأفاعيلَ القَبيحةَ، وقتَلَ فيها كثيراً مِن الصحابة وأبنائهم وخِيار التابعين.

واللَّعْن، وإن كان المختار عند التفتازاني هو اللعنَ. وإنما خُصّ بالأربعة للاهتمام بهم، ولوُجود الخِلاف فيهم مِن أهل الأهواء كما أشير، ولأنهم متبوعون وأسوة لغيرهم،[163] فغَيرُهم لاحِقٌ بهم، أو علّةُ لُزوم الحب كونُهم أحبابَ الله وأحبابَ رسول الله، وهذه العلّة مُشتَرَكة في جميعِهم، فيُعلم سائرُهم بطريق الدَّلالة، أو المُقَايسة. (**تَقِيّ**) أيْ: مُتورّعٍ ومُتَّقٍ (**ويُبْغِضُهم كلُّ منافقٍ**) الظاهر من المنافق ليس معناه المشهورَ من إظهار الإيمانِ وإبطانِ الكفر، بل معنى آخَر قريبٌ منه ومَجازيٌّ (**شَقِيّ**) الظاهر أنه مُشَكِّكٌ، إذ بُغضِ بعضِهم كفرٌ، وبعضِهم فِسقٌ.

فصلٌ [والسادسة]

(**نُقِرُّ بأنَّ العبدَ معَ أعمَالِهِ**) بالجَوَارح (**وإقرَارِهِ**) فالإقرارُ ليس من الأعمال (**ومَعرِفَتِهِ مخلوقٌ**) أي: للهِ تعالى لا للعَبدِ، كما زَعَم المعتزلةُ (**فلمَّا كانَ الفاعِلُ مَخْلُوقاً لَهُ تعَالَى**) كما قال تعالى: {خلق كل شيء فقدره تقديرا} [الفرقان: 2]، وقالَ تعالى: {خالق كل شيء} [الأنعام: 102] (**فأفعَالُهُ أَوْلَى أَنْ تَكونَ مَخْلُوقَةً**) لقولِهِ تعالى: {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96] وتفصيلُ هذا البحثِ: أنَّ فعلَ العبد بقُدرة الله تعالى فقَط عندَ الجَبْرِيَّةِ، وبقُدرةِ الله وقُدرةِ العبد، لكن بلا تأثيرِ قُدرة العبدِ عند الأشعري، ومع تأثيرِ قُدرة العَبد في أصل الفعلِ عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، وبمجموع القُدرتين أيضاً، لكنْ قُدرةُ العبد مؤثِّر في وصفه عند القاضي، وبقُدرة العبد فقط بلا إيجابٍ عند المعتزلة، ومعَ اضطِرار عندَ الفلاسفة، ومَرويّ عن إمام الحرمين.

---

[163] أخرج مسلم (207) (2531)، وأحمد (19566)، وأبو يعلى (7276)، وعبدُ بن حُميد (539)، والخلّال في "السنة" (772) من حديث أبي موسى: قَالَ: «صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ! قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا! قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: أَحْسَنْتُمْ – أَوْ: أَصَبْتُمْ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ – وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ – فَقَالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ». أمَنَة: بفتحات، أي: أمان لها من الانشقاق. أتى أصحابي ما يوعَدون: مِن الفتن التي وقعتْ في حياة الصحابة.

قلت: ولعل الشارح الخادمي رحمه الله تعالى يشير إلى الحديث المشهور: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ فَبِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ». أخرجه الآجري في "الشريعة" (1166)، وابن بطة في "الإبانة" (702) وإسناده ضعيف، يغني عنه الحديث الصحيح الذي ذُكر. قال ابن عبد البر: إِنْ صَحَّ هَذَا الْخَبَرُ فَمَعْنَاهُ فِيمَا نَقَلُوا عَنْهُ وَشَهِدُوا بِهِ عَلَيْهِ، فَكُلُّهُمْ ثِقَةٌ مُؤْتَمَنٌ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ لَا يَجُوزُ عِنْدِي غَيْرُ هَذَا، وَأَمَّا مَا قَالُوا فِيهِ بِرَأْيِهِمْ فَلَوْ كَانُوا عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ كَذَلِكَ مَا خَطَّأَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا رَجَعَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَى قَوْلِ صَاحِبِهِ فَتَدَبَّرْ. "جامع بيان العلم" (923/2).

فصلٌ [السابعة]

(**نُقِرّ بأنَّ اللهَ تعالى خلَقَ الـخَلْقَ ولم يكن لهم طاقةٌ**) أيْ: قُدرة مُستقلّة، وإلَّا فقد عرفْتَ مذهَبَ أهلِ السنَّةِ أنَّ الله تعالى خَلَق الـخَلق مع قُدرتهم في الجملة، يعني كان لقُدْرَتهم مَدْخَل في أفعالهم، ولذا كان بمَجمُوع القُدرتين عندَهم.

فإنْ قيلَ: النَّكِرة في سياق النَّفْيِ تُفيدُ العُموم؟

قلتُ: الـمُطلَق يَنصَرف إلى الكمال، لا سيَّمَا عندَ قرينةٍ معيَّنةٍ لذلك تأمّل، ويُمكن أن يقال: ليس لهم طاقةٌ أصـلاً في أنفسِـهم، وأمَّا قُدرتُهم فبِخَلق اللهِ تعالى فِيهم أيضـاً، (**لأنَّهُم ضُـعَفاءُ**) لكونِ وُجودِهم وُجوداً إمكانيًّا مُسـتفاداً مِن الوجود الواجبي (**عَاجِزونَ**) لعدَم قُدرتهم على شـيءٍ ما اسـتقلالاً (**واللهُ تَعَالى خالِقُهم ورَازِقُهم**) ثابت براهين إثباتِ الواجب، سِيَّما طريقةُ الـــحُدوث والإمكان المفصّلة في علم الكلام (**وحافِظُهم**) ويحتمل أن يراد حفظه بالملائكة: الـحَفَظَة، وإن كان بَعيداً لقوله تعالى: **{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ}** [الروم: 40] **{ثم إليه ترجعون}**[164] [البقرة: 28] هذا لإتمام الآية، وإلا فالمقصود بالاستشهاد ثَـمَّة بقوله: {ثم رزقكم} لكن التقريبَ بالنسبة إلى قوله: (وحـافظهم) ليس بتـامٍّ إلا أن يُراد مِن الخلق أو الرزق: مـا يَعُمّ الحفظَ. [(**والكســـبُ بالعِلم الظاهِرِ**)][165] أي: العُلوم الشرعيّة ويَشمل آلتَها كالعَربيةِ والأصول، بل الـــمَنطِق خِلَافاً لمن زعَم، لعل المراد من الكسب بالعلم: نحوُ تعليمِ القرآن والفقه، وهذا قولٌ مختلَف فيه، إذ عندَ السلف عدم جوازه؛ لأنَّ الإجارة على الطاعات ليسـت بجائزة، وعند الـــخَلَف جائزةٌ لاسـتِلزام الفُتُور في الأمور الدينية، وعليه الفَتوى، لكنَّ الإمامَ الأعظَمَ من الســـلف فتأمَّلْ، وما في الحديث: «اقرؤُوا القرآنَ ولا تأكلُوا به»[166] وأيضاً ما في الشِّرعة، ومن سنَّة تعظيم القرآن أن لا يَسأل به شيئاً، ولا يَستَأكِلَ، وأيضاً ما في

---

[164] والآية هي: {كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ}

[165] ما بين معكوفتين غير موجود في نسخة الشبكة...

[166] أخرجه أحمد (15529)، و(15535) من حديث عبد الرحمن بن شِـبْل: " اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ ". وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (2595)، وله شواهد منها: حديث أبي سعيد في "فضائل" أبي عُبيد (29/2)، بلفظ: "تعلموا القرآن، واسـألوا الله به قبلَ أن يتعلَّمَه قومٌ يَسـألون به الدنيا، فإنَّ القرآن يتعلمُه ثلاثةُ نَفَرٍ: رجلٌ يُباهي به، ورجل يَستأكِلُ به، ورجلٌ يقرؤهُ لله عز وجل".

"ولا تغلوا فيه" من الغُلوّ، وهو التجاوز عن الحد، أي: لا تجاوزوا حدَّه من حيث لفظه أو معناه بأن تتأولوه بباطل، أو المراد: لا تبذلوا جهدكم في قراءته وتتركوا غيره من العبادات.

«الإتقان»[167] مِن كراهة اتِّخَاذ القرآن مَعِيشَةً تكتَسَب؛ فمُنَاسب لطريقِ السلف، ويَشتَمل الكسب بالعمل، نحو الوعظ والذِّكر ليَجْمَعوا له شَيئاً لمن له احتياجٌ، ولم يهتد إلى الكسب لا سيَّما لاستيعابِ أوقاته بتعلُّم العلوم أو تعلِيمِها، كمَا رُوِي عن أبي اللَّيث. وبُسِط في قاضيخَان خلافاً لمن حرَّم مطلقاً.

(وجمعُ المالِ مِن الحَلالِ حَلالٌ، وجمعُ المالِ مِن الحَرام) كالسَّرِقة والغَصْب والرِّبَا **(حَرامٌ)** ونحو: الغِنَاء والمَلَاهي والنَّوح، لكن في «الدُّرَر» عن «المحيط»: إذا أخَذ المال بلا شَرط يُباحُ؛ لأنَّه إعطاءُ مالٍ عن طَوع بلا عَقدٍ.

واعلَم أنَّ حِلية الكَسب والجمْع؛ إمَّا فرضٌ إنْ [كان] لضرورةِ نفسه وعِياله ودِينهِ، وعليه حديثَا «الجامع الصغير» من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «طلَبُ الحلال واجبٌ على كل مسلم»،[168] وقولهِ عليه الصلاة والسلام: «طلبُ الحَلالِ جِهَادٌ»[169] وإمَّا مباحٌ إن [كان] لإظهارِ نِعَم الله تعالى، وإمَّا لكسْبٍ للتبَاهي والتفاخُر، وإن [كان] مِن الحلال فمَكروه، فإنْ أريدَ مِن الحِلّ: مَا يَشمَل مطلَقَ الجَواز؛ فيدخُل في الحِلّ، إذ يقالُ في الشرع: يجوزُ معَ الكراهة، وإلا فالظاهرُ أنه ليس بداخلٍ في الحَرام، فيكون واسطةً بين القِسمين.

ثم اعلَم أنَّ الزِّرَاعة كسبُ آدمَ عليه السلام، وكان نوحٌ عليه السلام نجَّاراً، وإدريس خيَّاطاً، وإبراهيمُ بزَّازاً، وداودُ يَصنَع الدِّرْعَ، وزكريا كان نَجَّاراً، وعيسَى عليه السلام يأكُلُ من غَزْلِ أمِّه كما في

"ولا تجفوا" قال السِّنْدي: مِن جفَا عنه، إذا بعُدَ، أي: لا تبعُدوا عن تلاوته، ولا تغلوا، بل توسَّطوا، وفيه نهي عن كل الإفراط والتفريط، وأمر بالتزام التوسط.

"ولا تأكلوا به" أي: بالقرآن. "ولا تستكثروا به" أي: المال، أي: لا تطلُبوا دُنيوياً، سواءً كان حاجةً أصلية، أو زائدة كزيادة المال، وفي "سنن أبي داود" (3416)، وأحمد (22689) عن عُبادة بن الصامت قال: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا، فَقُلْتُ: لَيْسَتْ لِي بِمَالٍ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا؟ وفي سنده الأسود بن ثعلبة وهو مجهول، لكن تابعه جُنَادة بن أبي أُمَيَّة عند أبي داود (3417) وله شاهد بنحوه عند ابن ماجه (2158) من حديث أُبيّ بن كعْبٍ.

[167] "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي (ص235) الباب (35) بتحقيقنا. والعبارة فيه: يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها.

[168] أخرجه الرزاز في "مجموع فيه مصنفاته" (118)، والطبراني في "الأوسط" (8610). قال المنذري في "الترغيب" (546/2): رواه الطبراني في "الأوسط"، وإسناده حسن إن شاء الله.

[169] أخرجه القضاعي (82)، وابن أبي الدنيا في "إصلاح المال" (204): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَلَبُ الْحَلَالِ جِهَادٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُحْتَرِفَ».

«التتارخانية»،[170] وكسبُ نبينا عليه وعلى سائره الصلاة والسلام الجهادُ،[171] وبالجملة: الكسبُ سنَّة الأنبياء وطريقتُهم، لكن فيها عن بعضِ الفقهاء مَذْمُوميّة الزِّرَاعة، لكن الصحيحَ ما عليه الجمهورُ، وإنما الكلام في أفضليةِ التِّجَارة أو الزراعة، بل الجمهور على فَضل الزِّرَاعة، بل على جميع أنواع الكسبِ.[172]

---

[170] **أقول**: إنَّ رعيَ الغنَم هو القاسمُ المشترك بين الأنبياء كلِّهم، لحديث البخاري (2262): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ». وفي التفاصيل: كان نبيُّ الله نوحٌ نَجَّاراً: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} [هود: 37]، وكان داود حدَّاداً: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} [سَبَأ:10 ـــ 11]، وقال أيضاً فيه: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ} [الأنبياء:80]. وفي "البخاري (2072): عَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.». وكان يوسفُ وزيراً للمالية (التموين): {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يُوسُف: 55]، وكان زكريا نجاراً، لقوله صلى الله عليه وسلم: "كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا ". أخرجه مسلم (2379) (169)، وأحمد (7947) من حديث أبي هُرَيرة. وأخرج ابن أبي الدنيا في "النفقة" (400): عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [المؤمنون: 51] قَالَ: عِيسَى كَانَ يَأْكُلُ مِنْ غَزْلِ أُمِّهِ.

وفي "الزهد" لأحمد بن حنبل (268): عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ لُقْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ خَيَّاطًا.

[171] ذكره البخاري تعليقاً في "صحيحه" بعد (2913) في: بَابُ مَا قِيلَ فِي الرِّمَاحِ، وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي. وأخرجه أحمد (5115) و(5667). ولفظه: " بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ". أي: جعل الله تعالى كَسْبي ومَعَاشي مِن الغنيمة، وهي لا تُنَال إلا بالجهاد، ومَن خالَفَ ما جئتُ به نالَهُ الذلُّ، بالأَسْر والرق، أو فرض الجزية عليه. وقيل (تحت ظل رمحي) لأنَّ الخصم إذا قرُبَ مِن المقاتل، فعَلَاه الآخَر بالرُّمح، كان تحتَ ظلِّه.

[172] للكسب أحاديث عديدة في ذكر أفضله ونوعه، منها: ما أخرجه البيهقي في "الآداب" (787): عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا، وَإِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا، وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا، وَإِذَا اشْتَرُوا لَمْ يَذُمُّوا، وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يُطْرُوا، وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا». ومن جانب آخر أخرج الطبراني في "الأوسط" (2140): عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَطْيَبِ الْكَسْبِ؟ فَقَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ». وأخرجه أحمد من حديث رافع بن خَديج (17265) وهو حسن لغيره. قوله: بيع مبرور: لا يخالطه إثم وحلف كاذب ونحوه.

وأخرج الترمذي (1358): عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ". ظاهر الحديث جواز الأكل من مال الولد مطلقًا إلا أنهم حملوه على الجواز عند الحاجة. قال الصنعاني في "سبل السلام" (3/2): وللعلماء خلافٌ في أفضلِ المكاسب: قال المَاوَرْدِي: أصولُ المكاسب الزراعة والتجارة والصنعة، قال: والأشبهُ بمذهب الشافعي أنَّ أطيبها التجارةُ، قال: والأرجحُ عندي أنَّ أطيبها الزراعة؛ لأنها أقربُ إلى التوكل، وتعقّب ما أخرجه

ثم الكسبُ الخبيث إن [كان] نحو أرباح المال الغصب والمودع؛ فيَتصدَّق، وإن [كان] نحو الغصب والرشوة؛ فيردّ إلى أربابها إن أمكن، وإلَّا فيتصدق، وكذا مِيراث الكَسب الخبيثِ إنْ عَلِمَ أربابَها فيُرَدُّ إليهم، وإلا فالأصحُّ أن يَتصدَّقَ، وإن قيلَ: يَحِلّ للوَرَثةِ إنْ لم يُعلَم أربابُها، لكن يُنوَى عندَ التصدُّق خُصَماء أبيه، أي: مورّثه.

[الناس على ثلاثة أصناف]

قوله: (**والناسُ عَلَى ثَلَاثةِ أصنَافٍ**:) بحثٌ آخَرُ، وموضِعُه الأَحرَى في جَنْبِ الخَصْلَة الأُولى؛ أيْ: الإيمان، بل هذه الخصلةُ السابعةُ لا يُدرَك لها وحدةٌ، لا حقيقيةٌ ولا اعتباريةٌ، إذ هيَ عبارةٌ عن: عدَّة أشياءَ، كقُدرة الرَّبّ معَ عَجْز الخَلق، وحِلْية الكَسْب بالعلم معَ حِلية جمْع المال مِن الحلال، وثلاثة أصناف الناس لا يعلم رجوعها إلى شيء واحدٍ، والوحدةُ لازمةٌ في كونها سابعةً، لعلَّه رحمه الله تعالى أرادَ الوَحدَةَ الجَعْلِيّة، فيَكفِي الوحدة في جعله، وإن تعدَّدَ في نفسه الأول.

(**المُؤمِنُ**) ولو مقلِّداً عاميًّا، وإن كان عاصِياً لتَركِهِ الاستدلالَ (**المُخْلِصُ في إيمانِهِ**) ليس في إيمانه شائبةٌ من النِّفَاق بأنْ وافَقَ قلبُه على ما في لسانه، على طريق الجَزم بلا تردُّدٍ، ولا شكٍّ.

(**وَ**) الثاني (**الكافرُ**) الذي ينكِر ما عُلِم بمَجِيء النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم به. فقوله: (**الجاحِدُ في كُفْرِه**) صفةُ توضيحٍ أو ذمٍّ، لكنَّ ظرفيّةَ الكفرِ الظاهرِ للمُبالغة، تأمَّلْ. (**وَ**) الثالث (**المُنَافقُ**) الذي يظُهِر الإيمانَ ويُبطِن الكفرَ.

وقوله: (**المُدَاهِنُ في إيمانِهِ**) بمعناه؛ إذِ المُداهِن: مَن هو ذُو وَجْهَين، فللمُنافق وجهٌ مع المؤمنينَ بإظهارِ الإيمان، ووجهٌ مع الكافرين، فكأنَّهُ داهَنَ مع المؤمنين[173] (**واللهُ تَعَالى فَرَضَ على المؤمِنِ العَمَلَ**) الظاهرُ أنّ الفَرض أعمُّ ممَّا هُوَ قَطْعِيّ، كأنْ يُرَاد مِن الفَرض أعمُّ من الاعتقاديّ والعَمَليّ، (**و**) فرَض (**علَى الكافرِ الإيمَانَ**) فقَط **عندَنا** خِلَافاً للشافعي، إذْ عندَهم أنَّ الكفارَ مُكلَّفون

البخاري من حديث المقدام مرفوعاً: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» قال النوويُّ: والصوابُ أن أطيب المكاسب ما كان بعمل اليد، وإن كان زراعةً فهو أطيب المكاسب، لِـمَا يَشتمل عليه من كونه عمَل اليد، ولما فيه مِن التوكل، ولما فيه مِن النفع العامّ للآدمي وللدواب والطير. قال الحافظ ابن حجر: وفوق ذلك «ما يكسب مِن أموال الكفار بالجهاد وهو مكسبُ النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرفُ المكاسب» لِـمَا فيه مِن إعلاء كلمة الله تعالى، انتهى. قيل: وهو داخلٌ في كسبِ اليد. انظر "فتح الباري" (304/4).

[173] قال الله تعالى: {وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: 9]. أي: لو تلين فيَلينون.

بالفروع، وبعضُ أصحابنا الـــحَنَفِيّة معهم، لكنْ مختارُنا ما ذكَرَه صاحبُ مَذهبِنا رضي الله تعالى عنه، والتفصيلُ في علم الأصول.[174]

(وعَلَى الـــمُنَافقِ الإِخلَاصَ) بأن يواطِئَ قلبُه لسانَه، إذا عرفتَ أنَّ الإقرارَ المجرَّدَ بلا معرفةٍ وإذعانٍ لا يُخرِج عن الكفر، فإذَا أخلَصَ المنافق إيمانَه يكون مؤمناً مخلِصاً، فيترَتَّبُ عليه وجوبُ الأعمال، كالكافر إذَا آمَنَ، **(لقولهِ تعَالَى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم})** [النساء: 1] فـ(الناس) شاملٌ لجميع الأَصنافِ الثَّلَاثةِ، والوِقَاية، أيْ: التبَعُّد عن النارِ إنَّما يكونُ بإتيان ما يرضَـــى عنه تعالى، وذلك في حقِّ المؤمن: الأعمالُ، وفي حق الكافرِ: الإيمانُ لا الأعمالُ ابتدَاءً، وفي حق المنافق: الخلوصُ، فلا يُتَوَهَّم أنَّ دلالةَ التقوى على هذه الثلاثة مُشـــكل؛ إذْ ظاهِرُه الجمعُ بين الحقيقةِ والمجاز، أو الحقيقتين، أو المجازين، فافهَمْ.

(يعني: يَا أيُّها الـــــمُؤمِنونَ أَطِيعُوا،) بإتيانِ الفَرَائض والواجباتِ وتركِ المحرَّمَات والمنهيات، بل المكروهات أيضاً، **(ويا أيُّها الكافِرونَ آمِنُوا، ويا أيُّهَا المُنَافقون أَخلِصُوا)**.

فصلٌ [والثامنة: الاستطاعة مع الفعل]

(نُقِرُّ بأنَّ الاِستِطاعةَ) أيْ: القُدرةَ التامّةَ الـــمَستَجْمِعَة بـــجَميع شَرَائط التَّأثيرِ لا القدرةَ التي هي مَبدَأ الأفعالِ المختلفة الـــــحَيَوانية المفسَّـرة بصـحّةِ الفعل والتركِ، القريبة إلى ما يُقال من أنها هي سـلامةُ الأَســـبابِ والآلاتِ، فإنَّها قبلَ الفعل البتّة. **(معَ الفعلِ)** مَعيّةٌ زمَانيّةٌ؛ لأنَّها عِلّة تامّة، وشـــأنُ العلّة تقدُّمُها على المعلولِ ذاتاً، وشأنُ العِلّة التامّة الـــمُقارنةُ زَمَاناً، وإلَّا يَلزَم تخلُّفُ المعلولِ عن العلّة التامّةِ، وهو مُستحيلٌ، كما سيُشير إليه المصنّف رَحِـــمه الله تعالى، لكن يُشكِل بما هو عند الجمهور مِن أنّها

---

[174] اختلف العلماء في أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور بها والمنهي عنها على ثلاثة أقوال:
الصـحيح المختار: أنهم مخاطبون بها جميعها. والثاني: أنهم غير مخاطبين بها جميعها. والثالث: أنهم مخاطبون بالمنهي دون المأمور. قال أبو القاسـم، محمد بن أحمد بن جُزَي الكلبي الغرناطي المالكي (ت: ٧٤١ هـــ) في "تقريب الوصـول" (229): ولا خلاف أن الكفار مخاطبون بالإيمان، واختلف: هل هم مخاطبون بفروع الشـريعة في حال كفرهم أم لا؟ فقال قوم: إنهم مكلفون بها إذا بلغتهم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقال قوم: لا يكلفون بالفروع حتى يسلموا، مع الاتفاق أنها لا تصح منهم ولا تُقبَل منهم حتى يؤمنوا، وقال فخر الدين بن الخطيب: ثمرة الخلاف راجعة إلى مضاعفة العذاب في الآخرة. انظر المسألة في "الأشباه والنظائر" لابن الملقن (84/1)، و"البرهان في أصول الفقه" لإمام الحرمين (1/ 92)، و"الأصول" للسرخسي (ص 58)، و"المستصفى" للغزالي (ص 73)، و"شـرح تنقيح الفصـول" للقرافي (ص 129)، و"الإبهاج" للسـبكي (1/ 176)، و"الموافقات" للشـاطبي (41/1 و255 و414)، و"الأشـباه والنظائر" لابن السـبكي (2/ 101)، و"الأشـباه والنظائر" لابن الوكيل (ص 53)، و"الأشـباه والنظائر" للسيوطي (1/ 492).

شـــرطٌ لأداء الفعل، إذِ الشـــرطُ لازمُ التقدُّم، فبناءُ الكلام على العِليّة وعند المعتزلة الاســـتطاعةُ قبلَ الفعل، وإلَّا يَلزم تكليفُ العاجِز، والتكليفُ بالطاعات واقعٌ قبلَ الفعل، وقد عرفْتَ أنَّ الكافرَ مكلَّف بالإيمان، فالتكليفُ واقعٌ قبل الإيمان الذي هو الفعلُ مثلاً، وأُجيبَ أنه إنما يَلزم العجزُ لو لم يكن للمكلَّف قُدرةٌ بمعنى: ســـلامةِ الأســـباب، والكلام ليس فيه، بل في القدرة بالمعنى الأول، لكنَّ الإمام الرازيَّ أشـــار[175] إلى كونِ النزاع لفظيًّا بأن يُجعَل مراد المعتزلة هذه القدرة الثانية. **(لَا قَبلَ الفِعل)** ولا بعدَه، تفصـــيلٌ للمَعِيّة المذكورة، وتمهيدٌ لتقريرِ الدليل الآتي بقوله: **(لأنَّهُ)** أي: الاســـتطاعة، فالظاهر (لأنَّها) إلَّا أنَّ أمثالَ هذه التاءِ لكونها مِن أصل الكلمة، لا تاء التأنيث، جَوَّزُوا الوَجهين **(لو كانَ قَبْلَ الفِعل)** أي: فعل العَبد **(لكانَ العبدُ مُســتَغنِياً عَنِ اللهِ تعالى وَقْتَ الفِعل)** لأنَّهُ حِينئذٍ يَلزَم اســتقلالُ العبدِ في فِعله بلا مَدخَل منه تعالى، إذ مذهَبُ أهل الســنة أنَّ قُدرة الله تعالى إلى فعلِ العبد إنما تَتَعلَّق في آنِ صـــرفِ العبد قُدرتَه إلى الفعل لا قبلَه، فلو كانت قَبلَه، كمَا هو مذهَبُ الاِعتِزَال لَزِمَ أن يكون العبدُ خالِقاً لأفعاله[176] **(وهذَا)** أي: الاســـتغناءُ عن الله تعالى **(خلافُ)** حُكْمِ **(النَّصِّ لقولهِ تعالى: (واللهُ)** هوَ **(الغَنِيُّ)** أي: الاستغناءُ مقصورٌ على الله تعالى، فليس لغيره تعالى غَنَاء أصلاً **(وأنتم)** أيُّها المكلَّفون، بل عامّةُ المخلوقين هم **(الفقراءُ)**[177] أيضاً، لأنَّ تعريف المسنَد[178] يُفِيد قَصْرَ الـــمُحتَاجين،

---

[175] أشار إلى ذلك الفخرُ الرازيُّ في "معالم أصول الدين" (88).

[176] وقع خلاف في الاستطاعة، وهل هي قبل الفعل أم معه؟ على أقوال:

أ – المعتزلة ومَن وافقهم قالوا: إنَّ الاستطاعة قبل الفعل، وهي غيرُ موجِبة للفعل.

ب – الأشاعرة ومَن وافقهم قالوا: إنَّ الاستطاعة مع الفعل، لا يجوز أن تتقدَّمَه ولا أن تتأخَّرَ عنه، بل هي مصاحبة للفعل، وهي من الله، وما يفعله الإنسانُ بها فهو كسب له.

ج – أهل السنة والجماعة ومَن وافقهم قالوا بالتفصيل:

1 – اســتطاعة قبل الفعل، وهي الاســتطاعةُ التي بمعنى الصــحة والوســع، والتمكن وســلامة الآلات، وهي مناطُ الأمر والنهي، والمصــحِّحة للفعل، وهي من مثل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْـتَطَاعَ إِلَيْهِ سَـبِيلًا} [آل عمران: 97]، وقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16].

2 – اســتطاعة مع الفعل، وهي التي يجب معها وجودُ الفعل، وتكون مقارنة للفعل الموجبة له، وهي الاســتطاعة الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل، وهي من مثل قوله تعالى: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود: 20]، وقوله عز وجل: {وَعَرَضْـنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًـا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْـتَطِيعُونَ سَمْعًا} [الكهف: 100، 101].

[177] الآية الكريمة: {وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ} [محمد: 38].

[178] المسند هو: الفقراء، وهو خبر المبتدأ (أنتم) والجملة حالية في محل نصب.

فمِن قَبيل الطَرد والعَكس مِن عِلم البَدِيع،[179] ومِن إطنَاب عِلم الـــمَعَاني لتأكيدِ مفهُومٍ كليٍّ بمنطوقِ الآخَر، فالاستشهادُ حاصل بمفهوم أحدِهما، ومنطوق الآخَر. وأيضاً يُستدلّ بقوله تعالى: {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ} [الصافات: 96].

فإن قلتَ: إذَا كانت قبل الفعلِ فلا شكَّ أنها بإيجادِ الله تعالى في العَبد، فالفِعل الحاصلُ بتلك القُدرة حاصلٌ بقُدرة الله تعالى، لا جَرَمَ فالفقرُ والاحتياج له تعالى ثابتٌ أيضاً؟ قلتُ: هذا مَجاز، والنصوصُ مَحمُولة على ظواهِرها، ولا يَسُوغ الـــمَجاز بلا تعذُّرِ الحقيقة.[180] **(ولو كان)** الاستطاعة **(بعدَ الفِعل لكانَ مِن الـــمُحَال)** أيْ: لَزِم الـــمُحَال **(لأنَّهُ)** أي: كونُ الاستطاعةِ بعدَ الفعل **(حصولُ الفِعل بلا استطاعةٍ ولا طاقةٍ)** أي: قُدرة، إذ حينئذ يكون حصـــول الفعل بلا قدرةٍ وهو مُحال، إذ الكلام في الأفعالِ الاختيارية التي يَلزم فيها سَبْقُ القُدرة، وأنه حِينئذ يَلزم لَغَوِية الاستطاعة، ويَلزم وجود المعلولِ بلا عِلَّة، أو وجودِ المشروطِ بلا شرط، والكلُّ محال، وهذا قريبٌ بما يُستدلّ على هذا المطلوب بأنَّ الاستطاعةَ عرَضٌ، والعَرَض يَجبُ مقارنتُه للفعل زماناً؛ لأنه إنْ سبَق لَزِمَ وقوعُ الفعل بلا قُدرةٍ لامتناعِ بقاءِ الأَعرَاض.

فصل [والتاسعة: المسح على الخفين]

(نُقِرّ بأنَّ الـمَسْحَ على الـخُفَّينِ واجِبٌ) أي: اعتقادُه؛ لثُبوته بخبرٍ مشهورٍ قريبٍ إلى التواتر، وفي روايةِ أبي بكر وعليٍّ رضي الله تعالى عنهما، وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى: أدركتُ سَبعين نَفراً مِن الصحابة، يَرَونَ المَسْحَ على الخُفَّين، وقد قال المصنف رحمه الله تعالى: ما قلتُ بالمَسح حتى جاءَني فيه مِثلُ ضوءِ النهار. وقال الكَرْخِيّ: أخافُ الكُفْرَ على مَن لا يَرَى الـمَسْحَ.[181] وإنما جعِل ذلك مِن جملة الوَصايا مع كونهِ من المسائل الفرعيةِ ـ والوصايا مِن الأصول الاعتقاديةِ ـ لـخِلافِ الروافِضِ فيه، ولكونهِ مَعدُوداً مِن علَامة أهلِ الســنة والجماعة في زمَن الســلف، مثل: أنس بن مالك عن الســنَّة

---

[179] الطرد والعكس عند أهل المعاني من أنواع إطناب الزيادة، وهو: أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني، وبالعكس، كقوله تعالى: {لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ} [التحريم :6]. وفائدة هذا: التنصـــيص على الحكم المفهوم من الكلام الأول، والتصريح به..

[180] إذا تعذر حمل اللفظ على حقيقته حمل على المجاز، قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ} [الحديد:4] فحملُ المعية على القرب بالذات مستحيل، فتعين صرفه عن الحقيقة وحملُه على المجاز، وهو إما على الحفظ والرعاية، أو على القدرة والعلم والرؤية.

[181] انظر "الاستذكار" لابن عبد البر (217/1)، و"عمدة القاري" (97/3).

والجماعة، فقال: أن يُحِبَّ الشيخين، ولا يَطْعَن في الـخَتَنَينِ، ويَـمْسَحَ على الـخُفَّين كما في «شرح العقائد».

(للمُقيمِ يوماً وليلةً، وللمُسافِرِ ثَلَاثةَ أيامٍ ولَيَاليها) لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يَمسَحُ المقيمُ يوماً وليلةً، والـمُسافِرُ ثلاثةَ أيام ولَيَاليها».[182] وهذا ما قال **(لأنَّ الـحَدِيثَ وَرَدَ هكذَا، فمَن أَنْكَرَ)** جوازَ الـمَسحِ لا وجوبَه، إذْ عرفتَ أنَّ الوجوب صفةُ الاعتقاد، لا العمل حتى قال الفقهاء:[183] مَن رآه ولم يَـمْسَح آخِذاً بالعَزِيـمة كان مُثَاباً **(فيُخشَى عليهِ الكفرُ؛ لأنَّ ثبوتَهُ)** وإنْ بالـمَشهُور، لكنَّهُ **(قريبٌ مِن الـخَبر الـمُتَواتر)** لكثرةِ رُوَاته وثِقَتِها، كما عرفْتَ آنفاً. **والقَصْرَ)** عطف على قوله: بأنَّ الـمَسْحَ... إلخ، أي: نُقِرُّ بأنَّ القَصْرَ، أيْ: قصرَ الفرضِ الرباعيّ بأن يصلَّى ثِنْتَينِ **(والإفطارَ)** أي: أكلُ رمضان **(في السَّفَر)** أي: مَن قَصَد قطْعَ مسافةِ ثلاثةِ أيام ولَو على قَصْدِ معصِيَةٍ **(رُخْصَةٌ)** لكنَّ القَصرَ رُخصَةُ إسقاطٍ، فلا يجوزُ إتيان الأربعة، والإفطارُ رخصةُ ترفيهٍ يُثاب بإتيان الصوم، إلا إذَا اضطُرَّ، وعليه يُحمَل قولُه صلى الله تعالى عليه وسلم: «ليسَ مِن البِرِّ الصيامُ في السَّفَرِ».[184] وعلى

---

[182] عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ؟، فَقَالَتْ: ائْتِ عَلِيًّا، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَسْحِ؟ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَأْمُرُنَا أَنْ يَمْسَحَ الْمُقِيمُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَالْمُسَافِرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». أخرجه النسائي في "الكبرى" (130). وأخرجه أحمد (1126)، ومسلم (276).

وعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ: "كُنَّا نَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْمُرُنَا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ، وَبَوْلٍ، وَنَوْمٍ ". أخرجه أحمد (18091)، وابن ماجه (478)، والترمذي (3535) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وقال عقب (96): أَحْسَنُ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ. وَهُوَ قَوْلُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ، مِثْلِ: سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، قَالُوا: يَمْسَحُ الْمُقِيمُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَالْمُسَافِرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّهُمْ لَمْ يُوَقِّتُوا فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالتَّوْقِيتُ أَصَحُّ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ أَيْضًا مِنْ غَيْرِ حَدِيثِ عَاصِمٍ.

[183] انظر " درر الحكام شرح غرر الأحكام" منلا خسرو الحنفي (33/1)، و"البناية شرح الهداية" بدر الدين العيني (576/1).

[184] أخرج البخاري (1946) عن جابر قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ». ولفظ مسلم (1115): "لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ». وأخرجه أيضاً أحمد (23681)، وابن ماجه (1664).

قلت: أخرج أحمد في "مسنده" (23679)، وهو عِند عَبد الرزاق في "المصنف" (4467)، ومن طريقه أخرجه الطبراني في "الكبير" 19/ (386)، والبيهقي في "السنن" (242/4): عَنْ كَعْبِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ السَّقِيفَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَيْسَ مِنَ امْ بِرٍّ، امْ صِيَامُ، فِي امْ سَفَرٍ".

الأول: قولُه تعالى: {وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ} [البقرة: 184] (**بنَصِّ الكتاب**) متعلِّق بـــــ(رخصةٌ)، **لقوله تعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ}** أي: سافرتم **{فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ}** أي: ضرَرٌ **{أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ}** [النساء: 101]. (**وفي**) حقّ (**الإفطار**) وردَ (**قولُه تعالى: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا}**) أي: مَرَضاً يَضُرّه بالصوم، أو يعسُر معه { **أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ}** فيه إيماءٌ بأنَّ مَن سافَرَ أثناءَ اليوم؛ لم يُفطِر **{فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}** [البقرة: 184] أي: فعليهِ صومُ عِدَّة أيّامِ الـــــمَرض والسَّفَر مِن أيام أُخَر إنْ أفطَرَ. كذَا في البَيضَاوي.[185]

فصل [والعاشرة: الأمر الإلهي للقلم]

(نُقِرّ بأنَّ اللهَ تعالى أمَرَ بالقَلَم)

فإنْ قيل: القلَمُ جَمَاد لا شُعورَ ولا إرادةَ فيه، فكيف يكون مأموراً بشيءٍ، والأمر يقتضِي ذلك؟

قلتُ: لعلَّ في الإســناد مجازاً، والمرادُ أَمَرَ الـــــمَلَك الموكَّلَ بالكِتَابة بالقَلَم، والمعنى: أنَّ اللهَ تعالى أمَرَ المَلَك الموكَّلَ بالكتابة بالقلم.

فإنْ قلتَ: هذا مضــمونُ حديثٍ نبويّ، وكلُّ أمرٍ ممكنٍ أخبَر به الشــارعُ؛ فمَحمُول على ظاهرِه ما لم يَصرِف عنه دليلٌ قطعيّ، ولا شكَّ أن الله تعالى قادرٌ على أن يخلُق في نفس القلم نحوَ الإرادة؟

قلتُ: نعَم، لكنَّه في أمثاله يُحمَل على العادات الإلهيّة، وقد يخطُر بالبالِ المفهومُ مِن ظاهر نحو قوله تعالى: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ} [الإسراء: 44]، و{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [الحديد: 1]، و{إِنَّا عَرَضْـــنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّـــمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [الأحزاب: 72] الآياتِ، أنَّ لهم شعوراً، أمَّا والحمْلُ على أن هذا القلَمَ يجوزُ أن يكون له شعورٌ؛ [فـ]بعيدٌ، لا سيَّما في حديثٍ آخَر أنَّ الكاتب بالقلم مَلَكٌ، ملَكٌ لا نفسُ القلم (**بأنْ يَكتُبَ فقالَ القلَمُ: ماذا أكتُبُ يا ربِّ؟ فقال الله تعالى: اكتُبْ ما هُوَ كائنٌ إلَى يومِ القِيَامةِ**)[186] سـواءٌ أفعالُ العباد أو أنفسُـهم، وسـواءٌ كان الجماداتِ

قال ابن حجر في "التلخيص الحبير" (205/2): هذه لغة لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التعريف ميماً، ويحتمل أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطَب بها هذا الأشعريَّ كذلك، لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعريُّ هذا نطق بها على ما أَلِفَ من لغته، فحملها عنه الراوي عنه، وأدَّاها باللفظ الذي سمعها به، **وهذا الثاني أوجَهُ عندي**، والله أعلم. قال الطحاوي: قال ســفيان: فذُكر لي أن الزهري كان يقول: ولم أسمع أنا منه: "ليس من ام برّ ام صيام في ام سفر".

[185] تفسير البيضاوي (260/3).

[186] أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في "السنة" (871): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: " أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: لَهُ اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ". وأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (1572)، والآجري

أو غيرَها، بل الملكوت، وبالجملة جميعُ ما سِـوَى الله تعالى، أعني جميع المخلوقات بذَوَاتها وأوصـافِهَا وأوضاعِهَا وأشكالها، كمَا يدُلّ عليه العُمومُ المستفاد من الصيغةِ.

فإن قيل: فكيفَ يَعلَم القلَمُ ذلك الكثيرَ مع عدَم وجودِه في آنِ الكتابة؟

قلتُ: يجوزُ أن يخلُقَ الله تعالى في القلَم، أو في كاتبِهِ عِلْماً ضَرُورِيًّا بأنْ يُلْهِم اللهُ تعالى جميعَ ذلك.

فإنْ قلتَ: ما الفائدة في هذه الكتابة؟

قلتُ: لعلَّ ذلك تسهيلُ الأمر بالملائكة الموَكَّلَة باللَّوح المَحفُوظ، أو الملائكة المُدَبّرات، فإنهم يَعلَمُون على وَفق ما في اللوح، أو للإيذَان على عدَم التغيير والتبديل، فإنَّ ما يكتَب كائنٌ البتة، لكنْ فيه تأمُّل على أنه لا يَجب علينا بيانُ وجهِ الحكمة، فإنَّ أفعالَهُ تعالى غيرُ معلَّلةٍ بالأغْرَاض، ولو سُـلِّم فيَجوز أن لا تطلُع (**لقولهِ تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ}**) [القمر: 52] أي: مكتوب في كتب الـحَفَظَةِ ({**وَكُلُّ صَـغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْـتَطَرٌ**} أي: مِن الأعمال {**مُّسْـتَطَرٌ**} [القمر: 53] أي: مَسطُور في اللَّوح المحفوظ.

فصل [والحادية عشرة: عذاب القبر]

نُـقِرّ بأنَّ عذَابَ القبرِ كائنٌ لجميعِ الكافرينَ ولبَعضِ عُصَاةِ الـمُؤمِنين) مِن أُمَم جميع الأنبياء، وكذا تَنعِيم أهلِ الطاعة في القبر، وإنَّمَا اقتَصَـر على العذاب؛ لأنَّ النصـوصَ فيه أكثرُ من المنعَّمين، والمراد بالقبر: ما يكون قبلَ البَعث وبعد الموت، فالمغرَق في الماء، والمأكُولُ في السِّـبَاع، والمحرَّقُ بالنار حتى يكون رَمَاداً معذَّبٌ، أو منعَّم بإحياء الميتِ وإعادةِ الرُّوح معاً، وقيلَ بإحيائه بنوعِ حياةٍ على قَدْر إدرَاك العَذَاب وإنْ لَمْ نطَّلِع على تلك الحياةِ، لعدَم قُدرة هذه العَين الحسـية على مُشـاهدة مثلِ تلك الأمور الـمَلَكِيَّة الغَيبية (**لا مَـحَالةَ**) أي: لا شُبهةَ والبتَّة (**لقولهِ تعالى: { سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ}**) [التوبة: 101]

في "الشـريعة" (182). وأخرج أحمد في سـياق حديث (22705) وفي آخره: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّـاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ". وهو حديث صـحيح. وانظر الكلام على هذا الحديث في "شـرح الطحاوية" (345/2).

أحدُهما في القبر، والآخَر في الجحيم.[187] **(وقولهِ تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ})** [السجدة: 21] أي: القبر، فإنه أدنَى بالنسبةِ إلى ما في جهنَّمَ **{ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ}**.[188]

فإن قيل: لا دلالةَ لهما صَريحاً، إذ يجوز أن يكون أحدُهما في الدنيا، والآخَرُ في القِيَامة، أو عندَ الموت أو نحوِها، كما قيل بعضُ ذلك، ولا يثبُت بـــمُجرَّد الاحتمال العِلمُ القطعيُّ كمَا يدُل عليه قوله: (لا محالة)؟

---

[187] ســـاق البخاري في "صـــحيحه" عقب (1368) في (بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}،

هُوَ الْهَوَانُ، وَالْهَوْنُ: الرِّفْقُ، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}.

وساق الحديث (1369) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَــهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُــولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}» حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّــارٍ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا وَزَادَ: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا} نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ.

وأخرج الطبري (647/11) عن قتادة: {سنعذبهم مرتين} قال: عذاباً في الدنيا، وعذاباً في القبر.

قلت: أخرج البخاري (1377): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ».

وأخرج أحمد (7237)، والدارمي (1344)، ومسلم (588) (128) و (130)، وأبو داود (983)، والبغوي في "شرح السنة" (693)، وابن ماجه (909)، وابن حبان (1967) من حديث أبي هريرة: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَــهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَــرِّ الْمَسِــيحِ الدَّجَّالِ".

[188] أخرج الآجري في "الشـــريعة" (854) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} [السجدة: 21] قَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ». وقال مجاهد بن جبر: "عذابُ الدنيا وعذاب القبر". أخرجه الطبري (110/21). وفي تفسير الماوردي "النكت والعيون" (365/4) سبعة أقوال للعذاب الأدنى.

قلتُ: يفسِّـــرُهما أحاديثُ كثيرة إلى أن تبلُغ إلى حدِّ التواتر المعنويّ كقولهِ (ص): «إذا قُبِرَ الميت أتَاه مَلَكان أَســوَدان...» إلى آخر الحديث،[189] وقولهِ: «القبرُ روضــةٌ من رياض الجنة، أو حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النّيرَان»،[190] وقولِهِ: «استَنْزِهُوا عن البَول؛ فإنَّ عامّةَ عذَابِ القبرِ منه».[191]

---

[189] تمامه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ – أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ» – "أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ؟ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. أخرجه الترمذي (1071)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (56). قال الترمذي: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

قلت: وفي البخاري (1338)، وأبي داود (4751)، وأحمد (12271) من حديث أنس (واللفظ للبخاري): «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ، أَوِ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». "ولا تليْت" أصله: تلوت، بمعنى قرأت، قُلبت الواو ياءً للازدواج، أو معناه: ولا يتبع أهل الحق، أي: ما كنتَ محقِّقاً للأمر، ولا مقلِّداً لأهله.

[190] أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد في سياق حديث طويل (2460) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (8613).

[191] أخرجه الدارقطني (464). وأخرج أحمد (8331) من حديث أبي هريرة: " أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ". وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

قلت: وله شاهد قوي عند البخاري (218) و (6052)، ومسلم (292)، وأبي داود (20)، والترمذي (70)، وابن ماجه (347)، وأحمد (1980) من حديث ابن عباس: قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: " إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنَ البَوْلِ – قَالَ وَكِيعٌ: مِنْ بَوْلِهِ – وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ". ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: " لَعَلَّهُمَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا – قَالَ وَكِيعٌ: تَيْبَسَا ".

"وما يُعذبان في كبير"، قال الخطابي في "معالم السنن" (19/1): معناه أنهما لم يُعذبا في أمر كان يَكبُرُ عليهما، أو يشقّ فعلُه لو أرادا أن يَفعلاه، وهو التنزه من البول وترك النميمة، ولم يُرِدْ أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدِّين، وأن الذنب فيهما هَيِّن سهل.

وأمَّا غرسه شقَّ العَسِيب (أو الجريدة) على القبر، وقوله: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"، فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعائه بالتخفيف عنهما، وكأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَل مدةَ بقاء النَّدَاوة فيهما حدّاً لما وقعتْ به المسألة من تخفيف

[سؤالات القبر]

(**وسُؤَالُ مُنكَرٍ ونَكِيرٍ**) عن الرّبّ والدِّين والنَّبيّ (**حَقٌّ**) أي: ثابتٌ. قيل في تنكير (منكر ونَكير) إشارةٌ إلى أنَّهما اسمانِ للنوع لا للفَرد؛ إذ يتفِقُ في ساعةٍ واحدة أمواتٌ بأطراف العالَـــم، فلا يمكن أن يَسألَا الجميعَ،[192] وأنَّ في صيغته إشارةً إلى أنه أَهْيَبُ مِن المُنكَر، ولا يَخفَى أنَّ مثل هذه المطالب لا تُدرَك بالعقل، بل مِن المطالب النَّقْلِية لا حَظَّ للعقلِ في إدرَاكها، ألَا ترَى أنَّ الأصـــحّ أنَّ قَبْضَ أرواحِ جَميع المَوتى لنفسِ عِزْرَائيل[193] عليه السلام، لا لعَوَنَتِهِ، وإنْ قِيل ذلك أيضاً.[194]

ثم نقل عن السيد أبي شُجَاع أنَّ الصِّبيانَ والأنبياء يُسألون!

أقولُ: يدلّ عليه عُمومُ صِيَغ الأدلّة.

العذاب عنهما، وليس ذلك مِن أجل أنَّ في الجريد الرطب معنىً ليس في اليابس، والعامة في كثير من البلدان تفرُش الخُوص في قبور موتاهم، وأراهم ذهبوا إلى هذا، وليس لما تَعاطَوْه من ذلك وجهٌ، والله أعلم. وانظر "فتح الباري" (1/320-321).

[192] سؤال الملكين في عالم البرزخ من الغيب الذي يجب الإيمان به، ولم يَرِد في شيء من نصوص الوحي بيان اللغة التي يسأل الملكان بها أهل القبور، والله تعالى قادر على أن يجعل وسيلة للتفاهم بين صاحب القبر وبين الملائكة كما يشاء، لا يعجزه شيء... وإننا في دنيانا اليوم نجد وسائل عدة للتواصل بين شخصين أو أكثر، فمثلاً: توضع سماعات معينة، وبلغاتٍ يختارها الشخص الذي يرغب بالمشاركة، فتجد المتكلم يتحدث بلغةٍ واحدة، ويصل صوته إلى المستمعين مترجَماً، كلٌّ حسب لغته ولسانه... فإذا كان هذا متاحاً في قدرات البشر، فلأَن يكون متاحاً ومقدوراً عليه في قدرة الله أولى وأكثر قبولاً.

[193] سُمِّي هذا الملَك الكريم في القرآن الكريم بـ(ملك الموت) في: {قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة: 11].

[194] بل لملك الموت أعوان من الملائكة يتوفون عن أمره، قال تعالى: {وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: 61]، وقال: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ} [محمد: 27]. والتوفيق بين هاتين الآيتين وبين قوله: {قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ} أن ملك الموت له مساعدون يقومون عنه، ويصدرون عن أمره، فنُسب الفعل إليه، وقيل: ذكر الواحد بلفظ الجمع.

وفي الحديث: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا "، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ". قَالَ: " فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ " قَالَ: " فَيَصْعَدُونَ بِهَا..." أخرجه أحمد (18534). إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

وقيل: يُسأل الصِّبيان لا الأنبياء، وقيل: على العكس **(لوُرُودِ الأحاديثِ)** كما عرفْتَ آنفاً.[195]

[الجنة والنار]

(والجنةُ) أي: دارُ الثواب **(للمُؤمنينَ، والنارُ)** أي: جهنَّمُ دارُ العذاب **(للكافرينَ حَقٌّ)** أي: ثابتٌ، والأصحُّ أنّه لا تَعيينَ لـمَكانَيْهِما، لكنْ المحقِّق الدوَّاني والأكثرون على أنَّ الجنة فوقَ السماوات السبعِ وتحتَ العَرش، لقوله تعالى: {عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ} [النجم: 14 ــ 15]، وقولِهِ صلى الله تعالى عليه وسلم: «سَقفُ الجنةِ عَرشُ الرحمن، وإنَّ النارَ تحتَ الأرضين».[196]

---

[195] اختلَف أهلُ العلم في سُؤَال الصِّبيان، فقيل: لا يُفتنون، لأنَّ الـمِحنة إنما تكون للمكلَّفين، وقيل: يُفتَنون. وحُجَّة مَن قال إنهم يُسألون: أنه يُشرع الصلاة عليهم، والدعاءُ لهم، وسؤالُ الله أن يَقِيهم عذابَ القبر وفتنةَ القبر، فقد أخرج مالك في "الموطأ" (18) في باب: ما يقول المصلي على الجنازة، عن سَعِيد بْنِ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». قالوا: والله سبحانه وتعالى يكمِّلُ لهم عقولَهم، ليعرفوا بذلك مَنزلَتهم، ويُلهَمون الجوابَ عمَّا يسألون عنه، قالوا: وقد دلَّت على ذلك الأحاديثُ الكثيرة التي فيها أنهم يُمتَحنون في الآخرة، وحكاه الأشعريُّ عن أهل السنة والحديث، فإذا امتُحنوا في الآخرة؛ لم يَمتَنع امتحانُهم في القبور.

واحتجَّ مَن قال: إنهم لا يُسألون: بأنَّ السؤال إنما يكون لمن عقَلَ الرسول والمرسل، فيُسأل: هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فأما الطفل الذي لا تمييزَ له بوجهٍ ما، فكيف يقال له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ ولو ردّ إليه عقله في القبر فإنه لا يُسأل عما لم يتمكن مِن معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال.. وهذا بخلاف امتحانهم في الآخرة، فإنَّ الله يرسِل إليهم رسولاً، ويأمرهم بطاعته، وعقولهم معهم، فمَن أطاعه منهم نجا، ومن عصاه أدخله النار.

[196] أخرج البخاري في "صحيحه" (7423) في سياق حديث، وأحمد (22695): "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». قال الحافظ في "الفتح" (13/6): المراد بالأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمةً وسَطاً}[البقرة: 143]، فعلى هذا فعطف (الأعلى) عليه للتأكيد، وقال الطيبي: المراد بأحدهما: العلو الحِسي، وبالآخر: العلوّ المعنوي، وقال ابن حِبَّان: المراد بالأوسط: السَّعَة، وبالأعلى: الفوقية.

وفي "مسند أحمد" في حديث طويل (15655) عن رسالة رسول الله إلى هرقل، وفي جواب هرقل: تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سُبْحَانَ اللهِ، أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ ".

وهذا يحتمل معنيين: **أحدهما**: أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يَلزم مِن عدم مشاهدتنا الليلَ إذا جاء النهارُ أن لا يكون في مكانٍ، وإنْ كنَّا لا نعلمُه، وكذلك النار تكون حيثُ يشاء الله عز وجل، وهذا أظهرُ.

الثاني: أن يكون المعنى أنَّ النهار إذا تغشَّى وجهَ العالَم مِن هذا الجانب، فإنَّ الليل يكون مِن الجانب الآخَر، فكذلك الجنَّةُ في أعلى عِليين فوقَ السماوات تحتَ العرش، وعَرضها كما قال الله عز وجل: {كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ} [الحديد: 21]، والنار في أسفل سافلين، فلا تنافيَ بين كونها كعَرض السماوات والأرض وبين وجودِ النار.

وقد استَأنَس بعض أهل العلم إلى أنَّ النار تحت الأرضين السبع بقول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} {المطففين:7}، فقد أخرج ابن المبارك في "الزهد" (1222) قولَ مجاهد: " سِجِّينٌ: صَخْرَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، تُقْلَبُ فَيُجْعَلُ

أُورِدَ على دلالة الآيةِ بجواز رُجوع ضمير {عندَها} إلى الـمَنزِلة، أي: نُزول جَبرائيل، وأنَّ الحديثَ خبرٌ واحدٌ لا يُفيدُ جنسَ هذا المطلب؟

أقول: المدعِي لا يَدَّعِي قَطْعِيَّة المطلوبِ، بل الظاهِرُ المطلوبُ ظنيٌّ عندَه.

[هل الجنة والنار موجودتان الآن؟]

(**وهُـمَا**) أي: الجنة والنار (**مَـخلُوقَتَانِ**) موجُودَتان (**الآنَ**)[197] وإنما كُرِّر بذلك لخلاف المعتزلة بأنَّهما إنما يُـــخْلَقَانِ يومَ الجزاء (**لا تَفْنَيَانِ**) أي: دائِمَتان (**ولا يَفنَى أهلُهما**) أي: لا يَطْرَأُ عليهما عدَمٌ مســتَمِرٌّ، لقولهِ تعالى في حقِّ الفَريقين: {خالدين فيها أبدا} [التوبة: 22] و[الأحزاب: 65].[198]

تَحْتَهَا كِتَابُ الْكَافِرِ "، وأخرج أحمد (18534) من حديث البراء بإسناد صحيح، ضمن سياق حديث طويل، وفيه: فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ". ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31]. كما استأنسوا بما في صحيح البخاري (6478) وغيره مرفوعاً: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». والحقُّ تفويض ذلك إلى علم العليم الخبير.

قلت: أما الرواية التي ساقها الشارح الخادمي "سقف الجنة..." فلم أجدها، والله أعلم.

فائدة: قال ابنُ عبد البَرّ في "التمهيد" (51/13): لا أعلم خلافاً في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة" أنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم، ليُرضِيَه بها فيما يُسخِط الله عز وجل، ويُزيّن له باطلاً يُريده، مِن إراقة دَمٍ، أو ظلمِ مســلم، ونحو ذلك، مما يَنحَط به في حَبْل هَوَاه، فيبعُد من الله، وينال ســخطه، وكذلك الكلمة التي يُرضــي بها الله عز وجل عند السلطان ليصرفه عن هواه، ويكفه عن معصيةٍ يُريدها، يبلغ بها أيضاً من الله رضواناً لا يَحْسَبُهُ، والله أعلم.

[197] قال الإمام أحمد في "أصول السنة" (32): وَالْجَنَّةُ وَالنَّار مخلوقتان، كَمَا جَاءَ عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "دخلتُ الْجَنَّة فَرَأَيْتُ قصــراً، وَرَأَيْتُ الْكَوْثَر، واطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّة فَرَأَيْتُ أَكثرَ أَهلِهَا كَذَا، واطلعتُ فِي النَّار فَرَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا" فَمن زعَم أَنَّهُمَا لم تُخلَقا فَهُوَ مُكذِّب بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَلَا أَحْسِبهُ يُؤمِنُ بِالْجَنَّةِ.

قوله: دخلت الجنة فرأيت قصراً، أخرجه أحمد (12834)، وقوله: رأيت الكوثر، أخرجه أبو يعلى (3186)، وقوله: " اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَــاءَ " أخرجه أحمد (2086). **قلت**: وفي البخاري (3342): ...ثُمَّ أُدْخِلْتُ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ». (جنابذ) جمع جُنْبَذَة، وهي القُبَّة.

[198] خلودُ الجنة والنار وبقاؤهما بإبقاء الله لهما، وعدَمِ فنائهما، ولا فناء مَن فيهما، ثابتٌ بالكتاب والســنة، ولا يوجَد فرق في النصــوص بين خُلود الجنة وخلود النار. قال تعالى في الجنة وأهلها: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ سَـنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} [النساء: 57]، وقال تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 100]، وقال تعالى عن النار وأهلها: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} [النساء: 168 ـ 169]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} [الأحزاب: 64 ـــ 65]، وقد سماها الله تعالى "دار الخلد" فقال: {ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت: 28].

وأمَّا قولُه تعالى: {كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ} [القصص: 88] فليسَ استمرارياً، بل لَـــحْظِيّ، وأنَّ الـــهَلَاك هو الـــخُروج عن الانتفاع به، والفَنَاء هو العدَمُ الصِّرْف. وقد قالَ حُجّة الإسلام: الوجودُ الإمكانيُّ مُستَهْلَك في نفسِه دائماً في جَنْب الوُجُود الوَاجِبـي. وعند الـجَهْمِيَّة إنما يَفْنَيان معَ أهلِهما، وهو خِلافُ الإجماع، والنصـــوصِ القَطعِيَّة. **(لقولهِ تعالى في حقّ المؤمنين: { أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ})** [آل عمران: 133] فإنَّ صيغة الماضي تَدلّ على تحقُّقِ مضمونِها في الزمان السابق.

فإن قيلَ: لِمَ لا يجوزُ أن يكون من قبيل: {قد أفلح} وقد قال الله تعالى في القرآن: {تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا} [القصص: 83] الآية.

قلتُ: النصـوصُ مَحمُولةٌ على ظَواهِرها، ولا ضـرورةَ هنا في العُدُول عن الظاهر؛ لأنَّهُ أمرٌ ممكِنٌ، وأمَّا الآية فبمَعنى الحالِ والاسـتمرار. وكذا يدُل على ذلك قصـةُ آدم عليه السـلام بدُخول الجنةِ وخروجهِ، وكذا أحاديثُ المعراج الدالّةُ على رُؤيتهِ صلى الله تعالى عليه وسلم الجنةَ والنارَ.[199] **(وفي حقّ الكافرين { أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ})** [البقرة: 24] فهاتان الآيتان دَليلان على كونِهما موجودَتين الآنَ.

وورد في السنة أحاديثُ تدل على ذلك أيضاً ـ أعني: أَبَدِيَّة الجنة والنار وخلودَ أهلهما فيهما ـ من دون فَرق بينهما، منها: حديث عبد الله بن عُمر رضـي الله عنهما قال: إنَّ رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ: يَا أَهْلَ النَّارِ، لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، لَا مَوْتَ؛ خُلُودٌ». أخرجه البخاري (6544)، ومسلم (2850). ففي هذا الحديث دلالة على خُلود الدارين وأهلِهما من دون فرق بينهما. وعلى ذلك أجمع السلف وأصحاب الحديث.

[199] منها: ما أخرجه أحمد (13340) عن أنس بن مالك مرفوعاً: " لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُـــونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ ". وعند أحمد أيضاً (2324) عن ابن عباس: ... فَنَظَرَ فِي النَّارِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ، قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ...

أقول: سـئل بعض أهل العلم المعاصـرين: كيف رأى النبي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ أحوالَ أهل الجنة، وأحوال أهل النار ليلة الإسـراء والمعراج، مع أن الساعة لم تقم بعد؟

فأجاب بقوله: إن النبي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ أخبرنا بذلك، وأنه رأى الجنة والنار، ورأى أقواماً يعذَّبون، وأقواماً ينعَّمون، والله أعلمُ بكيفية ذلك؛ لأنَّ أمور الغيب لا يُدركها الحِس، فمِثل هذه الأمور إذا جاءت يَجب علينا أن نؤمِنَ بها كما جاءت، وأن لا نتعرَّضَ لطلب الكيفية، ولـــــمَ؟ لأنَّ عقولنا أقصَرُ وأدنى مِن أن تُدرِك هذا الأمرَ، فقد أخبَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن أمور لا يمكن إدراكها بالعقل، أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بأن الله عز وجل ينزِل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر كلَّ ليلة، ومعلومٌ الآن أنَّ ثلثَ الليل يدور على الكرة الأرضية، فإذا انتَقَل من جهةٍ حَلَّ في جهة أخرى.. قد تقول: كيف ذلك؟

فنقول: عليك أن تؤمن بما أخبرك به النبي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ ولا تقل: كيف؟ لأنَّ عقلَكَ أدنى، وأقصـرُ مِن أن يُحيط بمثل هذه الأمور الغيبية، فعلينا أن نستسلم، ولا نقول: كيفَ؟ ولـمَ؟ ولهذا قال بعض العلماء كلمةً نافعة: قُل: بـمَ أمَرَ الله؟ ولا تقُل: لـمَ أمَرَ الله؟ " والله وليُّ التوفيق.

وأمَّا دليلُ عدَم الفَنَاء فمِثل قولهِ تعالى في حقّ الفريقين: {خالدين فيها أبدا} [التوبة: 22] و[الأحزاب: 65] (**وخَلَقَهُمَا**) أي: الجنة والنار (**للثَّوَابِ**) للمؤمنين (**والعِقَابِ**) أي: العذابُ للكافرين والفاسقين.

فإنْ قيلَ: الثوابُ والعقاب إنما يكونان في المستقبل، فما فائدةُ خَلْقِهما في الماضي؟

قلنا: يجوز كونُ الفائدة قوةَ الترغيبِ والتخويف، فإنَّ الرغبةَ لِمَا قد وُجِد، وكذا الخَوف عمَّا قد وُجِد، أقوَى ممَّا سيوجَد، ووصولُ أرواحِ الأخيار إلَى الجنةِ، وأرواحِ الأَشرَار إلى النار بعدَ قبْض الروح، وأنه وَرَد في الحديث: "يفتَح بابٌ إلى الجنة مِن قبر المؤمن، وبابٌ إلى النار مِن قبر الكافر"،[200] وأنَّ الرعايةَ للحِكمة لا يَجب عليه تعالى.

[الميزان حق]

(**والميزانُ حَقٌّ**) وهو عبارة عما يُعرف به مَقادِيرُ الأعمَال، والعقلُ قاصرٌ عن دَرْكِ كيفيّتِهِ، وقيلَ: يُوزن به صحائفُ الأعمال، وقيل: بجعْلِ الحسناتِ أجساماً نُورَانيّة، والسيئاتِ أجساماً ظَلْمَانيّة (**لقوله تعالى: {وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ}** أي: بالحقِّ والعَدل {**لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ**} [الأنبياء: 47].

[اقرأ كتابك]

(**وقراءةُ الكتبِ**) المثبَتِ فيها طاعاتُ العِباد ومَعاصِيهم التي قد كتَبَها الحَفَظة، يؤتَى للمؤمنين بأَيمانِهم، والكفارِ بشَمَائلهم ووَراءَ ظُهورهم[201] (**حَقٌّ لقوله تعالى: {ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}**) [الإسراء: 14].

---

[200] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ، أَوِ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870).

وأخرج أحمد (18534) عن البراء، في حديث طويل، وفيه: فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ". قَالَ: " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ... فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ..." وإسناده صحيح.

[201] قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ} {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ} [الحاقة: 19 و25]. وقال: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورا} [الانشقاق: 10 ـ 11].

فصل [الثانية عشرة: الإحياء للحساب]

(**نُـــقِرُّ بأنَّ اللهَ تعالى يُحيي هذهِ النفوسَ الإنسَانيّةَ**) بقَرينةِ قوله: (للجَزَاء والثَّوَاب)، وإن كان الإحياءُ عـامًّا لمطلَق الحيَوانات،[202] ويمكن أن يقـال: رأيُ المصـــنِّفِ رحمه الله تعالى فيه عـدَمُ الإحيـاءِ لغير الإنســـان، مُؤوّلاً للأحاديثِ الظاهرةِ في العُموم، كما هو رأيُ بعضٍ (**بعدَ الموتِ ويبعَثُهم**) مِن قبورهم بإعادة المعدُوم بعَينهِ عندَ أكثرِ المتكلِّمين، وبأن يجمَع أجزاءَه المتفرِّقَةَ، كمَا كانت أولاً عندَ بعضِـــهم. وهذَا هو المَعاد الجِسْمَانيّ الذِي يجبُ اعتقادُه، ويَكفُر جاحِدُه.

اعلَم أن الـــمَعَاد إمَّا جِسماني فقطْ، وهو لأكثرِ المتكلِّمين النافِينَ للنَّفس الناطقة، وإمَّا رُوْحَاني فقط، وهو للفَلَاسفةِ الـمُتَألّهين، وإمَّا جِسماني ورُوحَانيٌّ وهو لأكثرِ المحقِّقين كالصُّوفيّة والـحليمي، وإمَّا ليس بثابتٍ أحدهما أصلاً، وهو لقُدَمَاء الفَلَاسفة، وإمَّا التوقُّفُ فلجَالينوس مِن الحُكَماء.

والمرادُ من الروحاني: التِذَاذُ النفسِ بعد الـــمُفارقة، وتألُّـــمُها باللَّذَّات والآلامِ العَقْلِيّة (**في يومٍ كان مقدارُهُ خَمسِينَ ألفَ سنةٍ**)[203] أي: إمَّا تحقِيقاً أو حُكماً لكثرةِ الفَضَائح والـــمَشَاقّ (**للجَزَاء**) أي: العِقـاب بقَرينـة قولـه: (**والثوابِ**) فـإنَّ العِقـابَ للأعمَـال القَبِيحَـةِ، وإلَّا لَزِمَ الظُّلم، واللهُ ليسَ بظلَّامٍ للعَبِيد، وأمَّا الثوابُ وإن كان جزاءً صـــورةً ومجازاً؛ فليسَ بجزاءٍ حقيقةً، بل تفضُّـــلاً، أو عادة على اختِلَاف قولَي أهل الحق، كما في بعض النُّسَخ.

والعقاب فليس بحسن

[أداء الحقوق]

(**وأداء الحقوق**) للعِبَاد لأَربابها، ولو حقوقَ حيَوان، وهو إمَّا بإعطاءِ ثوابٍ أو تحميلِ وِزْر، أو تعذيبٍ بالنار على ما فُصِّـلَ في محلِّه، وهذا جَارٍ بين الحيَوانات بعضِـها مع بعض، كما في حديث أبي هريرة: «لَتُؤَدُنَّ الحقوقَ إلى أهلها حتى يُقادَ الشـاة القرناء»[204] والبعض يؤوّل مثل ذلك (**لقولهِ تعالى: { وَأَنَّ**

---

[202] قال تعالى: {وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير: 5].

[203] والآية الكريمة: {تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: 4].

[204] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّـــاةِ الْقَرْنَاءِ نَطَحَتْهَا ". أخرجه أحمد (7204)، والترمذي (2420)، وابن حبان (7363) وهو صـــحيح. "لتؤدن"، قال الســـندي: على بناء المفعول، بيان لعدله تعالى، وفيه حث على ترك الظلم وأداء الحقوق إلى أهلها في الدنيا. والجماء، قال: بفتح فتشديد، التي لا قرن لها.

ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ}) [الحج: 7] هذا دليلٌ للبَعث المجرَّد، وأمَّا دليل المجازاة فلعلَّه اكتفَى بما سبق من قولِه في الجنة: {أعِدَّتْ للمُتقينَ} فإن في مثله مأخذ الاشتقاق علّة الحكم.

[رؤية الله تعالى]

(ولِقَاءُ اللهِ تعَالى لأهلِ الجنَّةِ يَعني مِن الناس) فإنَّ المَلَك ليسَ له رُؤيةٌ على ما قيل **(بالرُّؤيَةِ البَصَرِيَّةِ)** أي: بحاسَّة البصرِ، يعني بعين الرأس **(حَقٌّ)** أي: ثابتٌ خِلَافاً للأكثرين كالمعتزلة، أي: في الجنةِ، كما هو عبارةُ الأكثرين، وفي حديثِ القرطبي: يتجلّى مرّةً في القيامةِ لجميع أهلِ العَرَصَات مُؤمِناً أو كافراً، ازدياداً لفَهْمِهم وخَسارتهم، وردًّا لإنكارهم.[205] وأمَّا رؤيةُ الله تعالى في الدنيا فجائزةٌ عقلاً، وأمَّا سمعاً فقيل بالعدم، وقيل بالوجود، وحديثُ الإمام الدُّمَيري في "حياة الحيَوان" على رِواية كثيرةٍ مِن كِبَار الصحابة على رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ليلةَ المِعرَاج بعَين الرأس.[206] وأمَّا رؤيتُه تعالى في

قال النووي في "شرح مسلم" (137/16): القصاص من القرناء للجلحاء ليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة.

قال الإمام المازري فيما نقله عنه الأبي في "شرح مسلم" (538/8): واضطرب العلماء في بعث البهائم، وأقوى ما تعلق به من يقول ببعثها قوله تعالى: {وإذا الوحوش حُشِرَتْ} [التكوير: 5] ، وأجاب الآخر بأن معنى حُشِرَتْ: ماتت، قال: والأحاديث الواردة في بعثها آحاد تفيد الظن، والمطلوب في المسألة القطع، وحمل بعض شيوخنا العَود المذكور على أنه ليس حقيقة، وإنما هو ضرب مثل إعلاماً للخلق بأنها دار جزاء لا يبقى فيها حق عند أحد، ويصح عندي أن يخلق الله تعالى هذه الحركة للبهائم يوم القيامة ليشعر أهل المحشر بما هم صائرون إليه من العدل، وسُمي ذلك قصاصاً، لا لأنه قصاص تكليف، ولكن على معنى قصاص المقابلة والمجازاة. ومَن توقف في بعثها إنما توقف في القطع بذلك كما يقطع ببعث المكلفين، والأحاديث الواردة في ذلك ليست نصوصاً ولا متواترةً، وليست المسألة عملية حتى يكتفى فيها بالظن. **والأظهر** حشر المخلوقات كلها بمجموع ظواهر الآي والأحاديث، وليس من شرط الإعادة المجازاة بعقاب أو ثواب.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله عنه الدميري في "حياة الحيوان" (224/1): لا يجري القصاص بين البهائم، لأنها غير مكلفة، وما ورد في ذلك من الأخبار نحو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُقتص للجماء من القرناء" فعلى سبيل المثل والإخبار عن شدة التقصي في الحساب، وأنه لا بد أن يقتص للمظلوم من الظالم.

[205] جاء ذلك في الصحيح: البخاري (4581)، ومسلم (183) في سياق حديث طويل.

[206] جاء في "حياة الحيوان الكبرى" (207/2): واختَلف العلماءُ من السلف والخلف في أنه هل رأى نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم ربَّه تعالى أم لا؟ فأنكرتْهُ عائشة وأبو هريرة وابن مسعود وجماعةٌ من السلف، وبه قال جماعةٌ مِن المتكلمين والمحدثين، وأجازه جماعة من السلف، وأنه صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه ليلة الإسراء بعينيْ رأسِه، وهو قول ابن عباس وأبي ذَر وكعبِ الأحبار والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل. وحُكي أيضاً عن ابن مسعود، وأبي هريرة، والمشهور عنهما الأولُ، وبهذا القول الثاني قال أبو الحسن وجماعة من أصحابه، وهو الأصحُّ، وهو مذهب المحققين من السادة الصوفية.

الـــمَنام، فقيل: لا، وقيل: نعَم، والحقُّ أنه لا مانعَ مِن هذه الرؤية، وإن لم تكن رؤية حقيقية.[207] ولا خِلَاف بينَنا في أنه تعالى يُرِي ذاتَه، والمعتزلة حَكَمُوا بامتناع رؤيته تعالى قَطْعاً عَقْلاً لذِي الحواسّ، واختلفوا في رؤيته ذاتَه، كذا في «شرح المواقف». وقال في «شَرح العَقَائد»: وأمَّا الرُّؤْيَة في المنام؛ فقد حُكِيت عن كثير من السلف، ولا خَفَاء في أنها نوعُ مُشاهَدَةٍ تكون بالقلب دون العين. **(بلا كيفٍ)** نحو الموازنة والـمُقابلة واتِّصال شعاع وثبوت مسافة بين الرائي وبينَ اللهِ تعالى. **(ولا تشبيهٍ)** بشيءٍ من مخلوقه **(ولا جهةٍ)** كالفَوق خِلَافاً للمُجَسّمة والـمُشبّهة، فإنَّ كلَّ ذلك قياسُ غائبٍ على شاهدٍ، وهو فاسدٌ، وأنَّ تلكَ الشَّرَائط عاديةٌ، فيَجوزُ الإبصارُ بدونها **(لقوله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ})** [القيامة: 22 ــ 23] فإنَّ أهلَ اللغة اتَّفَقُوا على أنَّ النظر إذا عُدّي بـــ(إلى)؛ يُراد به رؤيةُ العين، فلا يَرِدُ أنه لا دَلالة مع الاحتِمال، وللنَّظَر معانٍ أُخَرَ.

[الشفاعة]

(وشفاعةُ رسولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو نبيُّنا محمدٌ صلى الله تعالى عليه وسلم بإضافةٍ عَهْدِيّة، ولا يبعُد أن تجعل الإضافةُ للاستغراق؛ إذِ الشفاعة ثابتةٌ لجميعِ الرُّسل، بل للأخيار كالعُلَماء والصّـــدِّيقين **(حقٌّ لكلِّ مَن هُوَ مِن أهلِ الجنةِ)** أي: ابتداءً فحِينئذ هي لرفع الدَّرَجة، وانتهاءً وهم العُصَـــاة، فهي حِينئذ لرفع العَذَاب، ويُمكن أن تكونَ لتخفيفِ العذابِ، فيُفهم منه أنه لا شـــفاعةَ للكافرين، وقيل: إنَّ شـفاعتَه عامّةٌ للكافرين أيضـاً، إلَّا أنَّها بتَعجِيل فصـل القَضـاء، فيخفّف عنهم أهوالَ القيامة، لقوله تعالى: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ} [الأنبياء: 107].

وشفاعتُه لا تُرَدّ لقوله تعالى: {وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ} [الضحى: 5].

قال المحقِّق الدوَّاني: والنبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضَى إلَّا بإخرَاج مَن كان في قلبه مثقالُ ذَرَّة مِن الإيمان من النار،[208] هذَا هو الشفاعةُ الكُبرى التي خَصّ بعضُ العلماء المَقامَ المحمودَ بها.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: اختُصَّ موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم بالرؤية. وذهب جماعة من العلماء إلى الوقف، وقالوا: ليس عليه دليل قاطع نفياً ولا إثباتاً، ولكنه جائز عقلاً، وصحَّحَه القرطبي وغيره.

[207] أخرج الدارمي بإسناد ضعيف (2179)، وأبو نعيم في "الحلية" (276/2) من قول ابن سيرين: مَن رأى ربَّه في المنام دخل الجنةَ.

[208] أخرج مسلم (346) (202) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ».

(**وإنْ كانَ صاحبَ كبيرةٍ**) بل هي الشفاعةُ المقصودةُ الأَصليّة، صرَّح بذلك لمخالَفة البعضِ كالـمُعتَزلة في الكبائر، وأمَّا قوله: {وَٱتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـــئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ} [البقرة: 48] فأجابُوا بـــمَنع دلالتهِ على جميع الأشخاصِ والأَزمانِ والأَحوَال، ولو سلِّم؛ فيَجب تخصيصُها بالكفار،[209] جمعاً بين الأدلة.

فإنْ قيل: قد ذكَرُوا أنَّ تارك السنَّة يَستَحقّ حِرمان الشفاعة، فحِرمان صاحب الكبيرة بطريق الأَولى؟

قلتُ: يجوز أن يكون جزاءُ الأدنَى أعلَى مِن جزاءِ الأعلى وأعظمَ. ولو سُلِّم فيَجوز كونُ الـمُراد حِرمانَ كونهِ شَفِيعاً، أو حِرمان الشفاعة لرَفْع الدَّرَجة، أو لعدَم دخولِ النار، أو في بعض مواقفِ الـــمَحشَر، ولا يبعُد أن تكون الشفاعةُ بـــمُجَرّد الفضل والكرم، لا بالإستحقاقِ، وأمَّا مَن لا يكتسب المكروه، ويواظب على السنَّة؛ فالشفاعة له بالإستحقاق (**لقولهِ صلى الله تعالى عليه وسلم**: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي**»)[210] أي: شـــفاعَتي ثابتٌ لأهل الكبائر، أي: لرفْعِ العذَاب مختصّ لهم، أو بعض شـــفاعتي لهم، فلا يتوهَّم اختصـــاص الشـــفاعة لهم مِن كون اللام للتخصـــيص (**ولكلِّ مَن كان أَهلاً لِذَلكَ**) بأن يكونَ مِن أهل الإسلام، عطفٌ على قوله: (لكل من هو من أهل الجنة) للحديثِ السابقِ على ما وقَع في ســـائر الكتب، فلا يَخلو عن إيهَام نوعِ تكرار لعلَّ ذلك لدَفع وَهْمِ شُمول الكبائر للكافر؛ إذِ الكفرُ أكبرُ الكبائر، والكافرُ ليسَ بأهلٍ للشفاعة.

[الصدّيقة بنت الصدّيق]

قوله: (**وعائشـةُ رضـي اللهُ تعالى عنها**) عطفٌ على أولِ الفصـلِ؛ أيْ: نُقِرّ بأنَّ عائشـةَ، ويَحتمل أن يكون ابتداءُ الكلام (**بعدَ خَدِيجةَ الكُبرى رضـي الله تعالى عنها أفضـلُ نسـاءِ العالمين**) ظاهرُه على الإطلاق، ويَحتَمل أن يكون المراد مِن نساء عالَـمِي زمانهِ لنحو مريمَ ابنةِ عِمران، ثم الظاهر من البَعْدِيّة

وأخرج البخاري (7440) مطولاً، ومســـلم (326) (193)، وأحمد (13562) من حديث أنس، وفيه: ثُمَّ أَشْـــفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَـهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {عَسَـى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} قَالَ وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

[209] في تفسير "الوسيط" للواحدي (104)، و"معاني القرآن" للزجاج (128/1)، و"التيسير في التفسير" لأبي حفص النسفي (159/2): يعني به يوم القيامة، وكانت اليهود تزعُم أنَّ آباءَها الأنبياءَ تشفَعُ لها عند الله، فأَيْأَسَهُمُ اللَّهُ من ذلك.

[210] سبق تخريج الحديث مفصلاً في (ص6).

هو: البَعْدِيّة في الفَضِيلة، فتكونُ خديجةُ أفضَلَ مِن عائشة، كمَا نقِلَ عن السبكي، قال علي القاري في «شرح الأمالي» ـ ووَافقه البُلْقِينيُّ ـ قالَ: أوضحْتُ الدليلَ في «شرْح الفقهِ الأكبر»، ويَحتمل أن يراد مِن البَعْدِيّة بالنسبة إلى تزوُّج النبيّ، ثم قيل في وجه الفضل: بكثرةِ رِوَايتها ودِرَايتها وبكونها في الآخرةِ مع النبيّ، بخلاف مَن عَدَاها، لكنْ يشكِلُ بنحو قولهِ عليه الصلاة والسلام لفاطمةَ: «أمَا ترضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساءِ أهلِ الجنة»،[211] وفي رواية: «نساءِ المؤمنين»، وفي روايةٍ: «يا ابنَتي، أمَا ترْضَيْنَ أنكِ سيدةُ نساءِ العالمين»[212] قالت: يا أبت، فأينَ مريم؟[213] قال: «تلك سيدةُ نساءِ عالَمِها، وأنتِ سيِّدَةُ نساءِ عالَمِكِ»[214]، وفي رواية: «أمَا إنها سيدةُ نساءٍ يوم القيامة»، وفي رواية: أنَّ فاطمة سيدةُ نساء أهل الجنة،[215] وقالت عائشة:[216] أحبُّ الناس إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمةُ. ونحوها، فما ذُكِر من وجهِ تفضيلِ عائشةَ من قبيل الرأي في مقابلة النصّ، وما قيلَ في الوجه من قوله

---

[211] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: " تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ " فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ ". أخرجه أحمد (2668)، وأبو يعلى (2722) وإسناده صحيح.

[212] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَرْحَبًا بِابْنَتِي ". ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: اسْتَخَصَّكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثِهِ، ثُمَّ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. سَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيَّ، فَقَالَ: " إِنَّ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ " فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: " أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟ " قَالَتْ: فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ. أخرجه البخاري في "الصحيح" (3623) و (3624)، وفي "الأدب المفرد" (1030)، وأحمد (26413).

[213] عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ". أخرجه أحمد (12391)، والترمذي (3878) وقال: هذا حديث صحيح.

[214] أخرجه الآجري في "الشريعة" (1607) مطولاً، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (149).

[215] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ". أخرجه أحمد (11756)، وأبو يعلى (1169) وهو صحيح لغيره.

[216] أخرج الطبراني في "الكبير" (1009)، وابن الأثير في "أُسْد الغابة (2351): عَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَخَالَتِي، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لَهَا خَالَتِي: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ».

صلى الله تعالى عليه وسلم: «فَضْلُ عائشةَ على النِّسَاءِ كفَضلِ الثَّرِيدِ باللَّحْمِ».[217] فبَعد صحّتِهِ قال الـــمُنَاويّ في «شرحه للجامع الصغير»: لا يدُل على الإطلاق، لكن قال علي القاري: وجهُ تفضيلِ هذا الحديثِ الحديثُ الآخَرُ: «ســـيدُ إِدَام الدُّنيا والآخرةِ اللَّحْمُ».[218] ثم نقولُ: الأَحاديثُ في فاطمةَ مشهورة المعنى، وفي عائشةَ واحدٌ، والمشهورُ راجح على الواحد.

فإن قيلَ: لا يرجَّح حديثٌ مُتعدِّد على كثرة الشهود على الاثنين؟

قلنا: هذا بالغٌ إلى حدّ الشهرة كما سمعت، ولو سُلِّم لا أقلّ من التعارض فلا يثبُتُ للمُستدلّ حكم بهذا الدليل، ثم أقول: ولهذا ذهب بعضُهم إلى تفضيل فاطمةَ على عائشة، وبعضهم إلى التوقّف، حتى قال بعضٌ: الأسَلُم هو التوقُّفُ، **والحقُّ** أنَّا نَعتَقِد أنَّ ما ثبَتَ عند إمامنا رضي الله تعالى عنه هو الحقُّ،

---

[217] أخرجه الدارمي (2069)، والبخاري (3770) و (5419) و (5428)، ومســـلم (2446)، وابن ماجه (3281) من حديث أنس رضي الله عنه. وهو في "مسند أحمد" (12597).

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ". أخرجه البخاري (3411)، ومسلم (2431)، وأحمد (19523).

قوله: كمل، كنصَر، وكرُم، وعلِم. ولم يكمُل من النساء: أي: فيمَن سبق، وإلا ففي وقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كمل من النساء خديجة وفاطمة وعائشة، ثم لعل المراد بالكمال هو الوصول إلى مرتبة منه، فلا يشكل الكلامُ بأم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وبحواء وهاجر وسارة. والله تعالى أعلم.

كفضل الثَّرِيد: قيل: مثَّل بالثريد، لأنه أفضل طعام العرب، لأنه مع اللحم جامعٌ بين الغذاء واللذة والقوة، وسهولةِ التناول، وقلةِ المؤنة في المضغ، فيُفيد بأنها أُعطِيت ـ مع حسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللسان ـ رزانةَ الرأي، فهي تصلح للتبعّل والتحدث، وحسبك أنها عقلت ما لم يعقل غيرها من النساء، وروتْ ما لم يرو مثلَها الرجالُ.

[218] أخرجه بهذا اللفظ أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (2/ 1090) (2754)، وبنحوه العقيلي في "الضعفاء" (3/ 258)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (5/ 362)، وابن الجوزي في "الموضـــوعات" (302/2).. بلفظ: "أفضـــل طعام الدنيا والآخرة اللحم" **وهو حديث موضـوعٌ**، في سنده: عَمرو بن بكر السكسكي الشامي، متروك كما في "التقريب" (4993). وقال العقيلي: ولا يثبت في هذا المتن عن النبيّ صلى الله عليه وسلم شيءٌ.

ويُروى من حديث بُريدة بن الحصيب الأسلمي، أخرجه الطبراني في "الأوسط" (7477)، وأبو نعيم في "الطبِّ النبوي" (847) عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "سيِّد الإدام في الدُّنيا والآخرة اللحم ... " **وهو موضوعٌ**. فيه: سعيد بن عنبسة، ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (4/ 52) (227) فقال: "هذا كذّاب" وقال: سمعت أبي يقول: "كان لا يصدَّق".

وانظر "شـعب الإيمان" (5904)، و"الكامل" لابن عدي (6/ 6) (1184)، و"لسـان الميزان" للحافظ ابن حجر (4099).

ويُروى من حديث أبي الدرداء مرفوعًا بلفظ: "سيّد طعام أهل الدنيا وأهل الجنّة اللحم"، أخرجه ابن ماجه (3305)، وابن الجوزي في "الموضوعات" (2/ 301، 302) من طريق سليمان بن عطاء الجزري، وهو منكر الحديث، كما في "التقريب" (2954).

لأنّه لا يَلْزم من عدم وُجْدَاننا عدمُ الوجود، فالظاهرُ أنه اطّلَع [على] ذلك، وإن لم نُطلعْهُ **(وهيَ أمُّ المُؤمنينَ ومُطهَّرةٌ عن الزّنَا وبَرِيئةٌ عمَّا قالَتِ الرَّوَافضُ)** مُستنِدين بقَول أصحابِ الإفك في غَزْوَةِ بني الـمُصْطَلِق الـمُفَصَّل في «شرح المشارق».[219] **(فمَنْ شهِدَ عليها بالزّنا؛ فهو ولدُ الزّنَا)** لتَطهِير اللهِ تعَالى إيّاها عن الزّنا بقوله الصادق،[220] وقال بعضُهم بكفرِه.[221]

(و) نُقِرُّ (أنَّ أهلَ الجنّة في الجنّةِ خالِدُون، وأهل النار في النار خالدونَ لقوله تعالى في حق المؤمنين: {أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [البقرة: 82]**، وفي حقّ الكفار: { أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}** [البقرة: 257] وجهُ الدلالة فيهما حملُ الـخُلُود على الخلود على الدَّوَام، إما ابتداءً، أو بتفسير ما يدُلّ على التأبيد نحو: { خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} [التوبة: 22] و[الأحزاب: 65].

---

[219] أخرج البخاري حديث الإفك مطولاً (4141)، وكذا عند مسلم (2770)، وأحمد (25623). ذكره البخاري في غزوة بني المُصْطَلِق من خُزاعَةَ، قال: وهي غزوَةِ المُرَيْسِيعِ، قال ابن إسحاق: وذلك سنةَ ستٍّ.

[220] قال الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيم} [النور: 11].

[221] قال ابن القيم في "زاد المعاد" (103/1): وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى كُفْرِ قَاذِفِهَا. وقال النووي في "شرح مسلم" (117/17): بَراءةُ عائشةَ رضي الله عنها مِن الإفك، وهيَ بَراءةٌ قَطعِيَّةٌ بنصِّ القرآنِ العزيز، فلو تَشَكَّكَ فيها إنسانٌ والعياذُ بالله صارَ كافِراً مُرتدًّا بإجماعِ المسلمينَ. وقال ابن كثير في تفسيره (32/6): وقد أجمَعَ العلماءُ رحمهم الله قاطبةً على أنَّ مَن سَبَّهَا بعدَ هذا، ورَمَاها بما رَمَاها به... فإنه كافرٌ؛ لأنه مُعانِدٌ للقُرآنِ. وَرَوَى مَالِكٌ رحمه الله: مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قُتِلَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ؟ فَقَالَ: مَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ. ذكره القاضي عياض في "الشفا" (2/ 1109)، والزواوي في "مناقب مالك" (144). **أقول:** وقد غدَا رميُ الصديقةِ بنتِ الصدّيق رضي الله عنها ولعَنَ مُبغِضيها مَذهباً رسمياً لدَى الرافضة الإمامية أَخزَاهمُ الله تعالى، وفي محكمة الله يجتمع الخصوم.